

جامعة محمد خيضر بسكرة
كلية الآداب واللغات
قسم الآداب واللغة العربية



مذكرة ماستر

لغة وأدب عربي

دراسات أدبية

أدب عربي قديم

رقم : ق 2019/7

إعداد الطالبتين:

مليقة بودرهم

خلود عويسي

يوم: 2019/06/22.

التوظيف الفني التاريخي في "تغريبة بني هلال"

لجنة المناقشة:

رئيسا	جامعة محمد خيضر بسكرة	أ.محاضر.(أ)	فاطمة دخية
مقررا	جامعة محمد خيضر بسكرة	أ.محاضر.(أ)	آسيا جريوي
مناقشا	جامعة محمد خيضر بسكرة	أ.مساعد(ب)	ربيعة بدري

السنة الجامعية: 2019/2018

سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا
إِنَّا كُنَّا لَعِندَكَ
مُسْتَغِيثِينَ إِذْ
نَادَيْنَاكَ
فَسَبِّحْ بِحَمْدِكَ
رَبَّنَا
إِنَّكَ
أَعْلَمُ
بِغَيْبِنَا
وَإِنَّكَ
أَعْلَمُ
بِغَيْبِنَا

شكر وعرفان

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾ سورة الأنعام/ ١٩

وقال رسول الله ﷺ: « مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللَّهَ » في البداية نشكر الله عزوجل الذي وفقنا لإتمام هذا العمل المتواضع نتقدم بأسمى التقدير وجزيل الشكر إلى موجهتنا ومرشدتنا، أستاذتنا القديرة ومشرفتنا "آسيا جريوي" في هذا البحث التي أعطتنا الكثير من وقتها لتوجيهنا، ونصحها، في تصويب أخطائنا، فقد كانت لنا نعم الأستاذة. كما نتقدم بجميل العرفان إلى أستاذنا الفاضل "خضر تومي"، وإلى كافة أعضاء اللجنة المناقشة، ونسأل الله أن يجزيهم عنا خيرا وأن يجعلهم ذخرا لأهل العلم والمعرفة.

مقدمة

يعد الأدب الشعبي شكلا من أشكال التراث الإنساني، الذي يحفظ كيان أمة من الأمم، ويعبر عن وجودها، وطريقة تفكيرها، كما أنه يقوي العلاقات الشعبية، ويثبت الذات ويحدد هويتها، ويدعم بقاءها، ويضمن استمرارية صمودها؛ حيث يفتح أمامها نوافذ تطلعننا على حقيقة المجتمع الشعبي وثقافته، مع الإشارة إلى أن هذا الفن نقل بالمشافهة والرواية.

وتعتبر السيرة الشعبية جزء من ذلك التراث الذي حفظته ذاكرة التاريخ، وهو يحمل حياة شعب بأكمله، وينقل عاداته ومعتقداته السائدة، بالإضافة إلى أنه يقترب كثيرا من جنس الرواية، ويمثل وجها من وجوها، كما يتوافق مع التاريخ في خطوطه العريضة، وتعد السيرة الهلالية من أبرز السير التاريخية على مر العصور والأزمان، ومن أرسخ نصوص التراث ثراء باعتبارها نسا حكايا مليئا بالشخصيات، والأزمنة التاريخية، وكذا تعدد الأمكنة، في رحلة طويلة امتدت لسنوات عديدة بل وقرون متعاقبة، لتحمل تاريخهم، باعتبار هذا الأخير يصنف ضمن أهم المحاور المعرفية الكبرى التي لها وزنها في العصر الراهن.

ولعل ذلك ما دفعنا إلى اختيار هذه المدونة نموذجا للدراسة من خلال التركيز على الأهمية التي يكتسبها الموضوع وما يتسم به من جدية في حقل الدراسات الفنية العربية الحديثة، فهو يفتح على جانبين مهمين، أولهما أننا بصدد دراسة موروث شعبي مهم، وثانيهما أننا سنكون أمام آليات جديدة في التحليل وطريقة الوصف والتأويل.

لذا فضلنا الولوج في غمار دراسة هذا الجنس الأدبي، متخذين جزء من سيرتهم الطويلة ألا وهو جزء التغريبة، أنموذجا لهذه الدراسة الموسومة بـ : « التوظيف الفني التاريخي في تغريبة بني هلال ».

وتقوم الدراسة على إشكالات هي كالاتي:

- كيف تتجلى العلاقة بين الجانب التاريخي والفني في تغريبة بني هلال؟

- هل يمكن استخلاص الأثر التاريخي من البنية السردية؟



- كيف عبرت الشخصيات عن الجانب التاريخي؟

- هل يمكن ضبط الزمن والمكان التاريخي في نص التغريبة؟

وقد اعتمدنا في هذا البحث على جملة من المناهج، المتمثلة في المنهج التاريخي والاستعانة بالمنهج البنيوي والسيميائي والوصفي بآلية التحليل القائم على إيراد كل المسائل المتعلقة بهذا الموضوع، ثم معاينتها بالتحليل والشرح والتمثيل، انطلاقاً من نص "تغريبة بني هلال".

وللإجابة على هذه الإشكالات اعتمدنا على خطة هي كالاتي:

- مدخل ورد بعنوان: « التاريخ والسيرة الهلالية (بحث في المفاهيم) »؛ حيث كان بمثابة ضبط المفاتيح للولوج إلى مفهوم التاريخ وعلاقته بالأدب، وكذا مفهوم السيرة وأنواعها وخصائصها، وأخيراً لمحة تاريخية عن "سيرة بني هلال".

- الفصل الأول الموسوم بـ: « الشخصية الحكائية وأثرها التاريخي (دراسة في تغريبة بني هلال) »؛ حيث تم التطرق فيه إلى المفهوم اللغوي الاصطلاحي للشخصية الحكائية، وأثرها التاريخي، ثم تصنيفات الشخصيات الحكائية عند "فيليب هامون" انطلاقاً من نص "تغريبة بني هلال".

- الفصل الثاني، وكان عنوانه: « ثنائية الزمن والمكان والأثر التاريخي (دراسة في تغريبة بني هلال) »، تم التطرق فيه إلى الزمن بين المفهوم اللغوي والاصطلاحي وأنواعه، ثم دراسة الزمن من منظور تاريخي، ثم المكان بالتركيز على الأمكنة التاريخية المحورية، من خلال نص "تغريبة بني هلال".

وذيل البحث بخاتمة ضمت أهم النتائج التي توصلنا إليها.

وكان زادنا في هذا البحث مجموعة من المصادر والمراجع أهمها:

- كتاب المقدمة لـ "ابن خلدون".
- سيميولوجية الشخصيات الروائية لـ "فيليب هامون".
- بنية الشكل الروائي (الفضاء، الزمن، الشخصية) لـ "حسن بحراوي".
- ولعل من أهم الصعوبات التي واجهتنا، ونحن في غمار هذا تعدد المصطلحات والمناهج واختلاف الترجمات في مجال الدراسات التاريخية.
- وفي الأخير لا يسعنا إلا أن نتقدم بشكرنا وامتناننا لأستاذتنا الفاضلة الدكتورة "آسيا جريوي"، ونرفع لها آيات التقدير وجميل العرفان، التي أفادتنا بملاحظاتها وتوجيهاتها، ولم تبخل علينا بشيء. ونتمنى أن نكون قد وفينا لتوجيهاتها، وإلى كل من أمدنا بيد العون من قريب أو بعيد دون استثناء.
- ونسأل الله التوفيق والرضا والسداد في الخطى والتتوير في الدجى إنه ولي ذلك والقادر عليه وحده.

مدخل:

التاريخ والسيرة الهلالية (بحث في المفاهيم)

أولاً: التاريخ بين المفهوم اللغوي والاصطلاحي

1- المفهوم اللغوي

2- المفهوم الاصطلاحي

ثانياً: علاقة التاريخ بالأدب

ثالثاً: فن السيرة

1- مفهوم فن السيرة

1-1- المفهوم اللغوي

1-2- المفهوم الاصطلاحي

1-3- إشكالية المصطلح

2- أنواع السيرة

3- خصائص السيرة الشعبية

رابعاً: لمحة تاريخية لسيرة بني هلال (التغريبية)

1 - الأصل التاريخي لبني هلال

2 - أسباب هجرة بني هلال إلى المغرب

3 - النتائج المترتبة عن هجرة بني هلال إلى المغرب

في إطار سعيها لتبسيط مجال الدراسة، وتقديم لمحة عامة حول الموضوع، قبل التعمق في حيثياته ومضامينه، حاولنا توضيح بعض النقاط المهمة، والمتمثلة في: مفهوم التاريخ وعلاقته بالأدب، ثم مفهوم السيرة وأنواعها ومميزاتها، ثم الإشارة إلى الأصل التاريخي لبني هلال، وكذا أسباب هجرتهم إلى المغرب، وأخيرا النتائج المترتبة عن هذه الهجرة.

أولاً: التاريخ بين المفهوم اللغوي والاصطلاحي:

يشكل التاريخ جزء مهما من الحياة البشرية؛ حيث بدأ الاهتمام به يتجلى منذ أقدم العصور أين نظر إليه على أنه رواية للأحداث العظيمة والمهمة في تاريخ الحضارات، ومع مرور الوقت شهد تطورا ملحوظا في مفهومه ليأخذ بذلك شكله النهائي، علما قائما بذاته له نظرياته وأسسها الفلسفية. احتل من خلالها مكانة مميزة في حقل العلوم والمعارف الإنسانية، بما فيها المندرجة تحت إطار الأدب والنقد. ولتحديده نقف على المفهوم اللغوي والاصطلاحي له، كالآتي:

1- المفهوم اللغوي:

ورد في (لسان العرب) "لابن منظور" : أن لفظة التَّاريخ مشتقة من التأريخ نحو قوله: «التَّأريخُ: تعريف الوقتِ، والتَّؤريخُ مثله»⁽¹⁾. فالعرب لم تعرف علم التاريخ إلا في عهد "عمر بن الخطاب رضي الله عنه" «فالتَّأريخُ الذي يُؤرِّخُهُ النَّاسُ ليس بعَرَبِيٍّ مَحضٍ، وإنَّ المسلمين أخذوه عن أهل الكتاب، وتَأريخِ المُسلمين أُرِّخَ من زمن "هجرة الرسول ﷺ" ، كُتِبَ في خلافة "عمر رضي الله عنه" فصار تاريخا إلى اليوم»⁽²⁾.

وفي (القاموس المحيط) "للفيروز آبادي" نجد مفهوم (التاريخ) في نحو: «أُرِّخَ الكتاب وَقَتَهُ والاسم الأُرْحَةُ بالضم»⁽³⁾.

(1) ابن منظور، لسان العرب، مادة (أ، ر، خ)، دار صادر، بيروت، لبنان، ج3، (د ط)، (د ت)، ص3.

(2) المصدر نفسه، ص3.

(3) الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مادة (أ، ر، خ)، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، مصر، ج1، (د ط)، (د ت)، ص554.

أما في (المعجم الوسيط) فيرد مفهوم التاريخ على أنه: « جُمْلَةُ الْأَحْوَالِ وَالْأَخْدَاتِ الَّتِي يَمُرُّ بِهَا كَائِنٌ مَا، وَمَا يَصْدُقُّ عَلَى الْفَرْدِ وَالْمُجْتَمَعِ، كَمَا يَصْدُقُّ عَلَى الظَّوَاهِرِ الطَّبِيعِيَّةِ وَالْبَشَرِيَّةِ »⁽¹⁾.

وبالرغم من تعدد التعاريف- في المعاجم العربية- غير أنها تصب في مسار واحد يسع إلى جعل التاريخ قرينا من الزمن والوقت، مركزة في هذا الإطار على الجانب الإنساني أكثر، من خلال رصده لحياة الأمم والمجتمعات ومتابعة تطورها الحضاري.

2- المفهوم الاصطلاحي:

إذا أردنا الكشف عن مفهوم مصطلح التاريخ؛ فإننا سنجد تعددا في المفاهيم، نظرا لتعدد المشارب والدراسات التي تناولته، ولكن مفهومه العام يمكن وصفه « علم تعرف به أحوال الماضين، من الأمم الخالية من حيث معيشتهم، وسيرتهم، ولغتهم (...) حتى تتم معرفة أسباب الرقي والانحطاط في كل أمة وجيل »⁽²⁾. لتقادي عثرات الأمم السابقة والأخذ ببذور التقدم والتطور. وللوصول إلى تشكيل مفهوم جامع مانع حول مصطلح (التاريخ)، ارتأينا التطرق إلى بعض النظريات والآراء لفلاسفة ومفكرين قدماء ومحدثين على النحو الآتي:

1- التاريخ بين التصور الغربي والعربي:

1-1 التاريخ في التصور الغربي:

اختلف الفكر اليوناني حول تحديد مفهوم (التاريخ)؛ حيث « لم يكن لكلمة تاريخ في الماضي معنى واحد، فقد كانت تدل عند "سقراط (Socrate)" على المعرفة»⁽³⁾ في مختلف مجالات الحياة الإنسانية، وعند "أرسطو (Aristote)" على «مجرد ركام

(1) إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، القاهرة، مصر، ج1، ط3، 1989، ص13.

(2) عبد الرحمان بن محمد الجيلاني، تاريخ الجزائر العام، دار مكتبة الحياة، الجزائر، ج1، ط1، 1965، ص23.

(3) جميل صليبا، المعجم الفلسفي (بالألفاظ العربية، والفرنسية، والإنجليزية، اللاتينية)، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ج1، (د ط)، 1982، ص227.

من الوثائق مقابل عمل تفسيري أو تنسيق». (1) فهو بمثابة تسجيل للوقائع بالترتيب نفسه الذي حدثت فيه.

وقد أشار للتاريخ الفيلسوف 'فرنسيس بيكون (Francise Bacon)*' أيضا؛ حيث تبلورت دراسته من خلال تصنيفه للعلوم التي حصرها في ثلاثة أنواع وفقا لقوى الانسان المدركة، وتتمثل في « التاريخ: وهو علم الذاكرة، الشعر: وهو علم المخيلة، والفلسفة: وهي علم العقل، وهذه العلوم الثلاثة هي عبارة عن مراحل متتالية يجتازها العقل لتكوين العلوم، فالتاريخ هو تجميع العلوم، والشعر هو تنظيم لها، والفلسفة هي العملية العقلية التركيبية». (2) وفي خضم هذا المسار يرى "بيكون" أن التاريخ هو العلم بالأمر الجزئية العامة، والقوى النفسية اللازمة له هي الذاكرة. « وهو ضد الشعر؛ لأن موضوع الشعر وهمي، وموضوع التاريخ واقعي، وضد الفلسفة؛ لأن موضوع الفلسفة كلي، وموضوع التاريخ جزئي، والقوة النفسية اللازمة للشعر هي المتخيلة، أما القوة اللازمة للفلسفة فهي العقل». (3) وينقسم التاريخ عنده إلى تاريخ طبيعي وتاريخ مدني، مع العلم أنه سار على نهج "أرسطو" في كون التاريخ مضاد للفلسفة.

كما توسعت النظرة إلى التاريخ عند الأوروبيين في العصر الحديث؛ حيث برزت ملامحها بشكل أكثر جلاء ووضوحا عند الفيلسوف الألماني "هيجل (Hegle)" الذي: «عدَّ التاريخ جزء من الفلسفة لأنه ليس مجرد دراسة وصفية بل هو أقرب إلى التحليل وبيان

(1) المرجع السابق، ص 227.

* فرنسيس بيكون (1561-1626) ولد بلندن وتوفي بها، اشتهر بتأسيسه لنظرية المعرفة في العصر الحديث واستخرج المنهج المعتمد في العلم الاختباري والإستقرائي، ويمثل مؤلفه (الأورغون الجديد 1620) دراسة شاملة لمبادئ نظرية المعرفة المعاصرة. ينظر: قيس ناصر واهي، نهاية التاريخ (دراسة تحليلية للمفهوم وحضوره المعاصر)، المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية، بغداد، العراق، ط1، 2017، ص15.

(2) حبيب الشادوني، فلسفة فرنسيس بيكون، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1981، ص38.

(3) جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ص228.

الأسباب»⁽¹⁾. والتاريخ عنده بصفة عامة «تطور الروح في الزمان».⁽²⁾ فهو خاضع لحكمة العقل وليس محض الصدفة أو القدر.

وقد حاول "هيجل" دراسة التاريخ الكلي والعام للإنسانية، المواكب للتطور الحضاري؛ فمهد لذلك بعرض المناهج التي يمكن للتاريخ أن يكتب بها مركزا في ذلك على التاريخ الفلسفي باعتباره «التاريخ الكلي الحقيقي الذي يهيمن على الوقائع»⁽³⁾. فالتاريخ عند "هيجل" حركة فلسفية منطقية جدلية تسير تبعا للقانون الذي يعكس إرادة الروح الداخلية والكلية التي تتخذ من عظماء الأمم المختلفة وسائل لتحقيق المطلق، فكل أمة سيطرت في حقبة زمنية معينة على غيرها من الأمم الأخرى، ستكون بطبيعة الحال -لا شعوريا- تعبر عن إرادة الروح الكلية للفرد، وتتغير هذه الإرادة بالضرورة بتغير الأمة التي تمسك زمام الأمور في العالم.

ويعتبر "فيكو (Vico)" * الرائد الأول، في رسم معالم فلسفة التاريخ في القرن الثامن عشر وأهميته تكمن في منهجه أكثر مما هي عليه في مذهبه، ويتبلور مفهومه للتاريخ من خلال اعتباره سجلا «لنشأة المجتمعات الإنسانية وما تصطنعه من نظم، وهو عرض لنمو هذه المجتمعات وتطورها وحركتها شدا وجذبا ومدا وجزرا».⁽⁴⁾

(1) مجدي وهبة وكامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، ط2، 1984، ص82.

(2) هيجل، جورج فلهم فريديريك، العقل في التاريخ (من محاضرات في فلسفة التاريخ)، تر: إمام عبد الفتاح إمام، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط3، 2007، ص146.

(3) جون إهر نيرغ، المجتمع المدني (التاريخ النقدي للفكرة)، تر: علي حاكم صالح وحسن ناظم، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1، 2008، ص241.

* فيكو جياتا ستنيسا (1688-1744) مؤرخ وفيلسوف إيطالي، ذكر في كتابه (مبادئ حلم جديد يدور حول الطبيعة المشتركة للأمم) مبادئ فلسفة التاريخ، قسم التاريخ إلى قسمين: تاريخ مقدس وتاريخ دنيوي. ينظر: قيس ناصر واهي، نهاية التاريخ (دراسة تحليلية للمفهوم وحضوره المعاصر)، ص16.

(4) قيس ناصر واهي، نهاية التاريخ (دراسة تحليلية للمفهوم وحضوره المعاصر)، ص16.

وقد أقرَّ فيكو" في معرض حديثه عن تاريخ الإنسانية أن للشعوب طبيعة مشتركة. « تتمثل في مرور كل شعب على ثلاثة مراحل هي: المرحلة الإلهية، المرحلة البطولية، والمرحلة الإنسانية، وهذه الأخيرة هي التاريخ المثالي الأبدي للشعوب »⁽¹⁾؛ لأنها أكثر تحضراً وتطوراً من سابقتها، نتيجة خضوعها للتفكير العقلي.

1- 2 التاريخ في التصور العربي:

لم يغفل التفكير العربي عن هذا الجانب؛ بل حاول هو الآخر إيجاد مفهوم محدد للمصطلح منذ القدم، وكانت البداية مع "السخاوي" الذي اعتبره « فن يبحث فيه عن وقائع الزمان، من حيث التعيين والتوثيق؛ بل عما كان في العالم (...)» أما موضوعه فالإنسان والزمان (...). وأما فائدته فمعرفة الأمور»⁽²⁾.

فهو يرى بأن التاريخ عبارة عن فهم الماضي؛ لإفادة الحاضر، ومحاولة رسم صورة المستقبل والتخطيط له من خلال الاعتبار بحوادث الماضي .

وفي الفكر الفلسفي الإسلامي نجد مفهوم التاريخ قد تبلور أكثر عند "ابن خلدون" الذي يخالف "بيكون"؛ حيث يقول بأن: « التاريخ خبر عن الإجتماع الإنساني الذي هو عمران العالم، وما يعرض لذلك العمران من الأحوال؛ مثل: التوحش والتأنس، والعصبية، وأصناف التقلبات للبشر بعضهم على بعض، وما ينشأ عن ذلك من الملك والدول ومراتبها، وما ينتحله البشر بأعمالهم ومساعدتهم من الكسب والمعاش، والعلوم والصناعات، وسائر ما يحدث من ذلك العمران من الأحوال»⁽³⁾.

وهنا يؤكد "ابن خلدون" على أهمية التاريخ في دراسة ومعرفة ماضي البشرية وتطورها، وما يطرأ عليها من أحوال وحوادث، لها تأثيراتها على المجتمع في مختلف المجالات، وكل

(1) عبد الرحمان بدوي، موسوعة الفلسفة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1984، ص160.

(2) فرانزو روزنتال، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ، تر: صالح أحمد العلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1986، ص19.

(3) ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، تح: عبد الله محمد الدرويش، دار يعرب، دمشق، سوريا، ج1، ط1، 2004، ص125.

ما يترتب على ذلك من تقلبات في مسار الدول ومراتبها. وهو يجعل الإنسان بصفة الجماعة موضوعا للتاريخ، على خلاف "بيكون" الذي يجعل من الانسان بصفة الفرد موضوعا للتاريخ.

وفي الدراسات العربية الحديثة سار "عبد الله العروي" على نهج "ابن خلدون" في تعريفه للتاريخ؛ حيث يقسمه إلى صنفين هما⁽¹⁾:

أ- التاريخ العام: وهو مجموع الأحوال التي عرفها الكون ومرت عليه حتى اللحظة الراهنة وهو يمثل مجموع الأحداث والوقائع بشكلها الطبيعي، ويدخل فيها التاريخ الغير مدون.

ب- التاريخ المحفوظ: وهو مجمل ما يعرفه المؤرخ وهو هنا الممثل النظري للمعرفة كلها. ويخضع بصفة مطلقة لمقصدية التأليف.

وفي مقارنة يعقدها بين الصنفين يصل من خلالها إلى أنه لا تاريخ سوى المذكور، ولا مذكور سوى البشري؛ وعليه فالتاريخ تاريخ البشر بهم وإليهم.

مما تقدم نستنتج أن التاريخ هو إطار مهم من المعرفة الإنسانية، يستهدف تدوين المعلومات والمعارف عن الماضي، وفحصها وتمحيصها، وجلاء غموضها، وهو لا يقتصر على تسجيل حوادث الماضي، بتسلسلها الزمني فحسب؛ وإنما يسعى جاهدا إلى تفسير التطور الحاصل في حياة الأمم والمجتمعات المختلفة مبينا في الوقت ذاته الكيفية التي بدا عليها ذلك التطور، وسبب حدوثه وهو بهذا يمثل سيرة عامة للإنسانية جمعاء في جميع مظاهرها منذ أقدم العصور إلى زمننا الحالي.

(1) ينظر: عبد الله العروي، مفهوم التاريخ (الألفاظ والمذاهب، والمفاهيم والأصول)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط4، 2005، ص34، 35.

لكن التاريخ لا يمكن أن يبقى بعيدا عن الميادين المعرفية الأخرى؛ فهو يعيش حالة تجاذب معها. لا سيما تلك المجالات التي تحوم في إطار الأدب. فكيف هي علاقة التاريخ بالأدب؟

ثانيا: علاقة التاريخ بالأدب:

استطاعت الفنون الأدبية على مر العصور أن ترسم مجرى تاريخ الحياة الإنسانية، وتبرز مظاهرها ومعالمها، وقد كان للأدب الإغريقي النصيب الأوفر للأساطير؛ حيث انطلقت بدايات التفكير الإنساني بجملة من التساؤلات والإستفهامات حول أحوال ومظاهر الطبيعة المحيطة به، وفي سعيه لمحاولة إيجاد إجابة تهيئه إلى معرفة حقيقة الكون وتخلصه مما يؤرقه.

انتهى إلى وضع تصور « لتفسير ما يدور حوله باختراع قوى الأرباب والآلهة، ونسبتها إلى القوى الطبيعية مرة، وإلى شخصيات خيالية مرة أخرى، ونسب إليهم كل أفعال الخير والشر الذي يمس في عالمه الفسيح »⁽¹⁾، فالأسطورة مرحلة مهمة لكل الشعوب البدائية في رحلة البحث عن حقيقة الوجود الإنساني. « وهي تمثل سلوك الإنسان، وأنها مصدر مستمر من المعرفة يخوض في مشاكل البشرية »⁽²⁾. حتى يجيب على تساؤلاته وتفسير ظواهر الطبيعة والكون ويستلهم منها تفكيره وكيانه. كما تعتبر الأسطورة « تاريخا لأحداث تاريخية حقيقية حدثت في الماضي السحيق »⁽³⁾ ؛ وبهذا فهي سجل مليء بالحقائق والبطولات لها جذور عميقة في الماضي « ومن هنا اختلط التاريخ مع الأسطورة، كما أنها أحد مصادر

(1) تأليف جماعي: قسم الدراسات والبحوث في جمعية التجديد الثقافية والإجتماعية، الأسطورة توثيق حضاري، دار كيوان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط1، 2007، ص88.

(2) فضيلة عبد الرحيم حسين، فكرة الأسطورة وكتابة التاريخ، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، (د ط)، 2009، ص 17 .

(3) فؤاد طوبال، تاريخ الحضارات والأساطير (لمحات من تاريخ المشرق العربي القديم والحضارة الغربية القديمة والحديث)، منشورات جامعة دمشق، كلية الفنون الجميلة، دمشق، سوريا، (د ط)، 2007، ص15.

الإستدلال في البحث التاريخي»⁽¹⁾ التي يعتمد عليها في معرفة تكوين الخلق فاعتمد على خياله أكثر من عقله في تصور تاريخه الإنساني فالعلاقة بينهما تكاملية « وغالبا ما دخلت الأساطير من أبواب التاريخ، ودخلت الأحداث التاريخية من أبواب الأساطير»⁽²⁾ وهذه الأخيرة كانت هي المنطلق الأول والرئيس لكتابة التاريخ، قبل ظهور مرحلة التدوين والكتابة. أما الملحمة فهي قصة بطولية « تروي حوادث ذات أهمية (...) وقعت في الماضي البعيد فكانت نقاط انعطاف في تاريخ الشعوب»⁽³⁾ المعنية بالتمجيد. فهي قبل كل شيء صراع بين حضارتين متناقضتين فكريا وعقائديا وعرقيا، وهذا الصراع هو الفعل المحوري الذي تقوم عليه حبكة الملحمة؛ إذ تتناول « بدايته ووسطه ونهايته»⁽⁴⁾. وتكون الملاحم عادة ذو طابع شعري. ويكون الشعر الملحمي « طويل متشعب السرد»⁽⁵⁾. ويبنى على آليات درامية؛ فهو عالم يجمع بين الحقيقة والخيال يمتزج فيه « الواقع بالأسطورة، والآلهة بالبشر، والعقائد بالخرافات، والوقائع بالخراروق»⁽⁶⁾. وفي هذه المرحلة يكتمل « النمو الوجداني والنفسي للإنسان الذي يخرج من مرحلة السؤال والبدائية والجهل. إلى مرحلة الجواب والتحضر والوعي والنضج الإنساني الكامل»⁽⁷⁾، الكامل»⁽⁷⁾، فيصبح للوجود الإنساني معنى آخر.

أما إذا حاولنا التأسيس لهذا النوع الأدبي فنجد أنها ترجع إلى أصل سامي عربي؛ حيث تعد « ملحمة جلجامش التي تغنى بها السومريون القدماء بالعراق والتي ترجع إلى ثلاثة

(1) فضيلة عبد الرحيم حسين، فكرة الأسطورة وكتابة التاريخ، ص20.

(2) المرجع نفسه، ص77.

(3) فؤاد المرعي، المدخل إلى الآداب الأوروبية، مديرية الكتب والمطبوعات، دمشق، سوريا، ط2، 1992، ص23.

(4) أرسطو طاليس، فن الشعر، تر: إبراهيم حمادة، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، (د ط)، (د ت)، ص197.

(5) جورج غزيب، الشعر الملحمي (تاريخه وأعلامه: ابن كلثوم- ابن حلزة- ابن شداد)، دار الكتاب، بيروت، لبنان،

(د ت)، ص6.

(6) المرجع نفسه، ص6.

(7) فاروق خورشيد، أدب السيرة الشعبية، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، (د ط)، 2002، ص26.

آلاف عام قبل الميلاد»⁽¹⁾، وقد اعتبر "جلجامش" بطلاً أسطورياً وذلك من خلال ما اتصف به من قوى خارقة «توصله إلى مصاف الآلهة»⁽²⁾ فدخل التاريخ من أبوابه الواسعة -الملحمية والأسطورية- وعبرت عن التاريخ مثلها مثل الأسطورة، وترتبط بشعب معين «تحكي ما يدور بين الأبطال من أحداث»⁽³⁾ في صراع مستمر ودائم حول الوجود. وتعتبر من أقدم الملاحم الشعرية على الإطلاق.

ثم تأتي بعدها ملحمتي "هوميروس (Homère)" اليوناني: "الإلياذة والأوديسا"؛ حيث «تعد الحد الفاصل بين الأحداث الواقعية والخيالية، وتطور الكتابة التاريخية»⁽⁴⁾ التي تعبر عن بطولة شعب بأكمله استطاع أن يرسم تاريخه وحضارته، وقد حظيت بالمكانة الرفيعة بين الآداب العالمية. ثم كان للرومان "إنياذة" فرجيل (Virgil)، ولفرس "الشهنامة"، وللهنود "المهاباراتا والرامايانا". وبذلك أصبحت رمزا تاريخيا خالدا له دلالاته في كل أمة من الأمم، التي لا يمكن عزلها أو فصلها عن شعبها ومجتمعها الذي نشأت فيه.

ولكن الشعر كان أقرب الفنون الأدبية للإنسان البدائي الذي كان يعتمد على الارتجال والمشافهة، فكان الوزن أقرب إلى الذاكرة الإنسانية منه للنثر. وكان له دوره في «تثبيت الخبر التاريخي وتوثيقه»⁽⁵⁾ عند الشعوب، كما أن «النص الشعري أبلغ وقعا وأكثر تصويرا من الخبر التاريخي»⁽⁶⁾ الذي يترك أثرا بالغا في التاريخ البشري للمجتمعات الإنسانية وذلك من خلال قوته البلاغية والتأثيرية في نفوس سامعيه، فكانت العلاقة بينهما تلازمية

(1) عبد الحكيم شوقي، السير والملاحم الشعبية العربية، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، (د ط)، 2012، ص9.

(2) فضيلة عبد الرحيم حسين، فكرة الأسطورة وكتابة التاريخ، ص39.

(3) المرجع نفسه، ص44.

(4) المرجع نفسه، ص18.

(5) إبراهيم السامرائي، من سعة الأدب (وقفات في الأدب والتاريخ)، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2014، ص15.

(6) المرجع نفسه، ص15.

من خلال ما يرصده من وقائع وحوادث تحاكي أيامهم وحروبهم. وهو ما نلمسه في الشعر العربي ومن ذلك مطولة "زهير بن أبي سلمى" التي كانت تأريخاً حقيقياً للواقعة المشهورة "حرب البسوس". من خلال تجسيدها لطبيعة الصراعات القائمة في المجتمع القبلي آنذاك. ومع بزوغ فجر الإسلام، ظهر لون أدبي جديد ساهم هو الآخر في تصوير التاريخ العربي إلى جانب الشعر؛ وقد عرف بالسيرة. وهي أقدم أشكال قصص الحياة الكاملة؛ حيث تحمل جوانب ومظاهر تاريخية مهمة في الأمم والمجتمعات. فالسير «شأنها شأن الأساطير والملاحم، تركز على أساس تاريخي»⁽¹⁾ من شأنه أن يصور وقائع حدثت في الماضي البعيد.

ومن خلال ما تقدم يمكن القول: أن التاريخ ارتبط بالأدب ارتباطاً وثيقاً؛ بحيث لا يمكن الفصل بينهما، وهذه هي الحقيقة المغيبة التي يجهلها أغلب الدارسين والمؤرخين في تاريخ البشرية لا سيما في الإطار الذي يخص السير؛ حيث صنفت على أنها آداب شعبية لا يمكن أن تقدم معرفة تاريخية تذكر. ولتفنيد هذا الرأي، حاولنا استعراض بعض الجوانب المهمة للسيرة.

ثالثاً : فن السيرة:

يحتل فن السيرة موقعا مهما في ساحة الفنون الأدبية، ورغم ظهوره المبكر في العالمين الغربي والعربي. إلا أنه استطاع أن يكسب رونقا متميزا يتماشى وروح العصر بمرور الزمن مع محافظته على طابعه العام. وقد عرف أشكالا وألوانا عديدة مختلفة ومتباينة: ذاتية، شعرية، غيرية، اتخذت جميعها من التاريخ مادة خصبة، و للوقوف على ضبط مفهوم محدد للمصطلح، حاولنا تعريفه لغة واصطلاحا، على النحو الآتي:

(1) فضيلة عبد الرحيم حسين، فكرة الأسطورة وكتابة التاريخ، ص129.

1- فن السيرة بين المفهوم اللغوي والاصطلاحي:

1-1- المفهوم اللغوي:

ورد معنى السيرة في (لسان العرب) "لابن منظور" في مادة (س، ي، ر): «السَّيْرُ: الذَّهَابُ سَارَ يَسِيرُ سَيْرًا، وَمَسِيرًا وَتَسْيَارًا وَمَسِيرَةً وَسَيْرُورَةً»⁽¹⁾.

كما ورد فيه بأن «السَّيْرَةَ: هي السَّنَةُ، والطَّرِيقَةُ. يقال: سَارَ بِهِمْ سِيرَةً حَسَنَةً، والسَّيْرَةُ: الْهَيْئَةُ»⁽²⁾. أما في (القاموس المحيط) "لفيروز آبادي" فقد ورد لفظ السيرة، نحو قوله: «السَّيْرُ: الضَّرْبُ مِنَ السَّيْرِ، والسَّيْرَةُ بِالْكَسْرِ: الطَّرِيقَةُ وَالْهَيْئَةُ»⁽³⁾.

يكاد يجمع أغلب اللغويين على أن السَّيْرَةَ هي الطَّرِيقَةُ وَالْهَيْئَةُ وَالْحَالَةُ الَّتِي يَكُونُ عَلَيْهَا الْفَرْدُ، مصورة أغلب مظاهر حياته، وراصدة لجميع تحركاته؛ ولكن السيرة بهذا المفهوم تبدو محدودة جدا على المنطق الدلالي، لذلك كان لا بد من الوقوف على المفهوم الاصطلاحي لها.

1-2- المفهوم الاصطلاحي:

يعد أدب السيرة فن قديم قدم الزمن الإنساني، وقد ظهر هذا الفن عند العرب بالموازاة مع الملاحم والأساطير اليونانية والرومانية؛ فكان من الطبيعي أن يتأثر بها، لذلك نجده يحتوي على كثير «من خصائص الشعر الملحمي. واسمه اسم اصطلاحى للرواية الشعبية، وكلمة سيرة كلمة عربية، وترجمتها الحرفية هي "تصوير الحياة"»⁽⁴⁾.

وتجدر الإشارة إلى أن المصطلح جاء مقابلا لنظيره الأجنبي (Biographie) المأخوذ من العبارة اليونانية وصف: (graphie) حياة شخص: (Bios)⁽⁵⁾. وفي العصور المتأخرة عرف هذا الفن نوعا من القصص الشعبي عرفت بالسيرة الشعبية، وقد تزايد الإهتمام بهذا

(1) ابن منظور، لسان العرب، مادة (س، ي، ر)، ج 4، ص 389.

(2) المصدر نفسه، ص 390.

(3) الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج 2، ص 53.

(4) لالا بيرموقا، فن السيرة في الأدب العربي، مجلة كلية الآداب، باكو، أنريبيجان، ع 101، 2012، ص 550.

(5) الطاهر أحمد مكي، الأدب المقارن أصوله وتطوره ومناهجه، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط 1، 1987، ص 522.

اللون الأدبي؛ حيث ألف فيه العديد من المؤلفات في الشرق والغرب « وذاعت وانتشرت أسماؤها وتسمى هذه المؤلفات في الصين " بنخو"، وفي آسيا الوسطى " دستان"، وفي اليابان " قنكي"، وفي الهند " محبرات"»⁽¹⁾.

ويعرف هذا اللون من الأدب على أنه: « بحث يعرض فيه الكاتب حياة أحد المشاهير فيسرد صفحاته مراحل حياة صاحب السيرة أو الترجمة، ويفصل المنجزات التي حققها، وأدت إلى ذبوع شهرته وأهله لأن يكون موضوع دراسة»⁽²⁾. وهو ما يعني أن اهتمام السيرة يكون منصبا بالدرجة الأولى على ذلك « العمل الكبير الذي قام به صاحبها، والأثر الفعال الذي تركه في عمله في الحياة الإنسانية»⁽³⁾ فيصبح من خلال ذلك أهلا للتمجيد والتعظيم من خلال رواية سيرته.

وهو أيضا لون أدبي « يجمع بين التحرير التاريخي، والإمتاع القصصي، ويراد به درس حياة فرد من الأفراد، ورسم صورة دقيقة لشخصيته»⁽⁴⁾. ومن هنا كانت السيرة مزيجا من المدونات والوثائق المسجلة من التاريخ وبين العواطف الإنسانية الجياشة، والأحاسيس النابضة؛ لأنها وبكل بساطة أكثر نبضا من التاريخ.

1-3- إشكالية المصطلح :

لقد خلق التقارب الكبير بين مصطلحي السيرة والترجمة أزمة اصطلاحية، في تاريخ السيرة فأصبح من الضروري وضع حد فاصل يبرز مضامين كل مصطلح، وبناء على هذا تضاربت الآراء وتباينت في هذه المسألة. وقد استخدم بعض الدارسين السيرة بمعنى الترجمة.

(1) لالا بيموفا، فن السيرة في الأدب العربي، ص 551.

(2) عبد النور جبور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط2، 1984، ص 143.

(3) عبد العزيز شرف، أدب السيرة الذاتية، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونغمان، مصر، (د ط)، 1992، ص 5.

(4) أنيس المقدسي، الفنون الأدبية في النهضة العربية الحديثة، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط3، 1986، ص 547، نقلا عن: عبد النور جبور، المعجم الأدبي، ص 143.

وهذا ما ذهب إليه "يحيى عبد الدايم" في قوله: «أن لفظي (ترجمة) و(سيرة) كانتا تدوران على معنى (تاريخ الحياة)»⁽¹⁾. وقد حصدت السيرة قصب السبق في الظهور.

والفكرة نفسها نجدها عند "محمد عبد الغني"؛ حيث يقول: «أن الترجمة بهذا الاسم حين لا يطول نفس الكاتب فيها، فإذا ما طال النفس، واتسعت الترجمة سميت سيرة»⁽²⁾.

ومع تقارب وجهات النظر في تحديد معنى كل من المصطلحين، إلا أن هذا التقارب ينتفي مع محاولة التأصيل لها؛ حيث نجد الباحث "يحيى عبد الدايم" يرى أن: «كلمة ترجمة دخلت إلى اللغة العربية عن طريق اللغة الآرامية (...) ولم يكن الإصطلاح قد جرى إلا في أوائل القرن السابع الهجري، حيث استعملها "ياقوت الحموي" في معجمه بمعنى حياة شخص»⁽³⁾. غير أن الإصطلاح الحديث قد استقر على ضرورة عدم الفصل بينهما؛ بل اعتبر كلا من (الترجمة/ السيرة) وجهان لعملة واحدة.

2- أنواع السيرة:

لقد خرج مفهوم السيرة من حيزه الضيق إلى عالم أوسع، وذلك بفعل التطور الذي لحق به على مدى مراحل وفترات زمنية متعاقبة. وقد عرف في خضم هذا التطور العديد من الأشكال والأنواع المختلفة التي ميزته عن غيره من الفنون الأدبية الأخرى، والتي نذكر منها:

2-1- السيرة الذاتية (Autobiograph):

يمثل العصر الروماني ميلادا حقيقيا لهذا الجنس الأدبي الذي شهد بدوره اهتماما بالغ النظير في مختلف الآداب العالمية الحديثة لا سيما منها الأدب العربي. وقد تناول الباحثون دراسته فاصطلحوا عليه عدة تعريفات ومفاهيم. ورغم ذلك لم يصلو إلى حد اليوم لتعريف واضح يبرز معالمه وحدوده، وهذا يعود بالدرجة الأولى إلى ارتباطه الوثيق بغيره

(1) يحيى إبراهيم عبد الدايم، الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، (د ط)، 1975، ص31.

(2) محمد عبد الغني حسن، التراجم والسير، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط3، 1980، ص28.

(3) يحيى إبراهيم عبد الدايم، الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث، ص31.

من الأجناس الأخرى، وقد عبر عن هذا "جورج ماي" بقوله: «إننا مازلنا في فجر السيرة الذاتية ولم يحن الوقت بعد للوصول إلى اتفاق عام»⁽¹⁾.

ويعرفها "عبد العزيز شرف": «السيرة الذاتية تعني حرفياً ترجمة حياة إنسان كما يراها»⁽²⁾ هو وليس كما هي في الواقع. وهنا يهدف إلى جعل السيرة الذاتية قصة حياة إنسان، يتولى روايتها بنفسه وبقلمه.

أما "يحيى عبد الدايم" فنجده يعرفها بقوله: «الترجمة الذاتية الفنية هي التي يصوغها صاحبها في صورة مترابطة على أساس الوحدة والاتساق في البناء والروح (...) وفي أسلوب أدبي قادر على أن ينقل إليها محتوى وافياً كاملاً عن تاريخه الشخصي»⁽³⁾. وفي معرض هذا الحديث يبرز الخصائص الفنية الضرورية التي يجب أن تكون عليها السيرة الذاتية عامة.

وفي الوقت الذي نجد فيه "يحيى عبد الدايم" قد توجه في تعريفه، إلى جعل البناء الفني الدعامة الأساسية لكل سيرة ذاتية. إلا أنه قد أسهب نوعاً ما في عرضه للأسلوب الأدبي على حساب البناء الفني لها، وهو ما يجعلها حسب تعريفه أقرب إلى الرواية منها إلى السيرة الذاتية.

وتقترب ضمن هذا النوع مجموعة من الأشكال الأدبية، نذكر منها: (اليوميات، والمذكرات والاعترافات، ورواية السيرة، وأدب الرحلة).

(1) جورج ماي، السيرة الذاتية، تر: محمد القاضي وعبد الله صولة، بيت الحكمة، قرطاج، تونس، (د ط)، (د ت)، ص 9. نقلاً عن: ساميا بابا، مكون السيرة الذاتية (في رواية حكاية شرح يطول لحنان الشيخ)، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط 1، 2012، ص 25.

(2) عبد العزيز شرف، أدب السيرة الذاتية، ص 27.

(3) يحيى إبراهيم عبد الدايم، الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث، ص 10.

2-2 السيرة الشعرية (Biographie De Poésie):

لقد حاول الشعر أن يثبت جدارته في التغلغل إلى مختلف أنسجة الأجناس الأدبية مثله مثل النثر، فامتدت أطيافه إلى الجنس السيري الذي استطاع من خلاله أن يظهر براعته الفنية في كتابة التاريخ. ويطلق هذا المصطلح على كل « قول شعري ذو نوع سردي يسجل فيه الشاعر شكلا من أشكال سيرته الذاتية»⁽¹⁾.

ولا بد أن يقتصر هذا التسجيل السيري على « سيرته الشعرية فقط- تاريخا ومكانا وحادثة- لا يخرج فيها إلى تناول جوانب أخرى غير شعرية (...) إلا على النحو الذي له صلة بدعم قضيته الشعرية في السيرة»⁽²⁾. وفي هذه الحالة يشترط أن تكون المرحلة المعنية بالتدوين « ناضجة (...) بحيث يتاح له المجال السيري الحديث عن محطات غنية وخصبة في تجربته الشعرية»⁽³⁾. وهو ما يمكننا من وضع خارطة معرفية تبرز ملامح نتاجه الشعري، وموقعه من الوسط الأدبي الذي عاش في كنفه.

2-3 السيرة الغيرية (Biography):

إذا أردنا أن نحدد المفهوم الدقيق للسيرة الغيرية؛ فلا بد من التعرض لآراء بعض الدارسين حيث يحدد "حسين فوزي النجار" مفهومها بقوله: « هي البحث عن الحقيقة في حياة إنسان فذ والكشف عن مواهبه وأسرار عبقريته من ظروف حياته التي عاشها، والأحداث التي واجهها في محيطه، والأثر الذي خلفه في جيله»⁽⁴⁾ فيدخل بذلك مدونة التاريخ الإنساني من أوسع أبوابه. وهذه السيرة تتوزع إلى عدة أشكال أهمها:

(1) محمد صابر عبيد، التشكيل السيرداتي (في التجربة والكتابة)، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، (دط)، 2012، ص 69.

(2) محمد صابر عبيد، السيرة الذاتية الشعرية (قراءة في التجربة السيرية لشعراء الحداثة العربية)، عالم الكتب الحديث، إربد، عمان، ط1، 2007، ص 110.

(3) المرجع نفسه، ص 110.

(4) حسين فوزي النجار، التاريخ والسير، ص 14.

2-3-1 السيرة النبوية (Biographie De Prophète):

تمثل مرتكزا هاما لفهم فحوى الدين الإسلامي ومنهجه، وذلك من خلال تضمنها لحياة الرسول ﷺ الحافلة بالعبر والأقوال المأثورة. ويرى "فاروق خورشيد" أن تدوين السيرة يعود إلى حاجة المسلمين لأن « يعرفوا من أمر رسولهم الشيء الكثير»⁽¹⁾ فنشأ هذا النوع من التدوين الذي كان تاريخيا في غايته، وقصصيا في بنائه الفني. فالسيرة النبوية ماهي إلا « أثر قصصي جمع من أفواه الإخباريين والقصاص، وقام المؤلفون فيما بعد وعلى رأسهم "ابن إسحاق"، ثم "ابن هشام"، بعملية إحكام النسيج القصصي فيها، وترتيب الأحداث وإضافة التعليقات والشروحات عليه»⁽²⁾. وإذا كانت السيرة النبوية في زمن غير بعيد مجالا مفتوحا للبحث والدراسة العربية، فإنها أضحت اليوم ميدانا خصبا للدراسات الإستشراقية.

2-3-2 السيرة الشعبية (Biographie populaire):

يعتبر هذا المصطلح حديث الولادة؛ إذا ما قارناه بغيره من السير؛ حيث شرع في استخدامه « منذ النصف الثاني من القرن العشرين»⁽³⁾، ويطلق عادة على « نصوص القصص الطويلة التي تولدت في مجال المشافهة، ورواها رواة منشدون في ساحات المدن الكبرى وفي المجالس والأرياف، قبل أن تخرجها المطابع الحديثة»⁽⁴⁾. ويذهب "فاروق خورشيد" مع العديد من الباحثين إلى اعتبار السير الشعبية « مجموعة من الأعمال الروائية الطويلة، ذات سمات فنية متشابهة، وذات أهداف ورؤى فنية متماثلة بحيث تكون في مجموعها صنفا أدبيا متميزا لا يخضع لقوانين العمل الروائي (...) ولا

(1) فاروق خورشيد، الرواية العربية (عصر التجميع)، دار الشروق، بيروت، لبنان، ط3، 1982، ص180.

(2) ركان الصفدي، الفن القصصي في النثر العربي (في مطلع القرن الخامس الهجري)، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، سوريا، (د ط)، ص48.

(3) محمد القاضي وآخرون، معجم السرديات، دار محمد علي للنشر، تونس، ط1، 2010، ص263.

(4) المرجع نفسه، ص263.

يخضع في نفس الوقت لقوانين الملاحم الشعرية»⁽¹⁾؛ بحيث لا يمكن عدّها رواية، كما لا يمكن عدّها ملحمة بل هي عمل أدبي مستقل بذاته، وبما أن موضوع دراستنا يصب في إطار السيرة الشعبية، كان لا بد من الحديث على أهم الخصائص الفنية لها.

3- خصائص السير الشعبية:

إن المتأمل لهذا الموروث الشعبي يستنبط مجموعة من الخصائص والسمات البارزة، والتي نذكر منها:

1- فن السيرة الشعبية « فن مستقل بذاته له قواعده وأصوله، وله بنائه الفني الخاص به»⁽²⁾ فاستحق بجدارة أن يكون بذرة الإنطلاقة في « فن الرواية، والقصة الطويلة»⁽³⁾ وهو ما نلمسه في سيرة عنتره التي كانت نتاجا للرواية التاريخية.

2- السير الشعبية ليست مجرد عمل يكتب « للحكاية والتسلية »⁽⁴⁾. بل هي أيضا « أهداف معينة يقصد إليها الكاتب ويختار لها القالب الروائي »⁽⁵⁾ الذي يجعله أكثر قربا إلى قلوب الناس وضمايرهم، ويتم « ربط البطل بالناس إما بالقضية التي يمثلها»⁽⁶⁾ كقضية الحرية في سيرة عنتره - أو من خلال « الرمز الذي يعنيه »⁽⁷⁾، سواء أكان تاريخيا كـ "الظاهر بيبرس" أو شعبيا كـ "حمزة البهلوان". وهو في كل الحالات « يحمل رسالة الحق (...) ويصارع الشر وينتصر عليه»⁽⁸⁾ وإن تمثل في القوى الخارقة كالسحر والجان.

(1) فاروق خورشيد، السير الشعبية العربية، مجلة عالم الفكر، مج19، ع2، الكويت، 2012، ص249.

(2) فاروق خورشيد، أدب السيرة الشعبية، ص44.

(3) فاطمة حسين المصري، الشخصية المصرية (من خلال: دراسة بعض مظاهر الفلكلور المصري)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، (د ط)، 1984، ص91.

(4) فاروق خورشيد، أدب السيرة الشعبية، ص99.

(5) فاروق خورشيد، فن كتابة السيرة الشعبية (دراسة فنية نقدية للسيرة الشعبية: عنتره بن شداد)، منشورات إقرأ، بيروت، لبنان، ط2، 1982، ص252.

(6) فاطمة حسين المصري، الشخصية المصرية (من خلال: دراسة بعض مظاهر الفلكلور المصري)، ص92.

(7) فاروق خورشيد، فن كتابة السيرة الشعبية (دراسة فنية نقدية للسيرة الشعبية: عنتره بن شداد)، ص252.

(8) فاطمة حسين المصري، الشخصية المصرية (من خلال: دراسة بعض مظاهر الفلكلور المصري)، ص92.

- 3- للمرأة في السير الشعبية « دور أساسي لا يقل في خطورته عن الرجل، بل إن هناك سير شعبية كاملة عقد لواء بطولتها للمرأة كسيرة الأميرة ذات الهمة »⁽¹⁾. وقد تتناصف المرأة مع الرجل في بعضها، كما هو الحال للجازية في "السيرة الهلالية".
- 4- السير الشعبية أعمال نثرية في الغالب إلا ما ندر ك "السيرة الهلالية" في بعض طبعتها « وتكون بلغة سهلة مسجوعة »⁽²⁾ تساعد على الحفظ ببسر وسهولة .
- 5- يأتي « استعمال الشعر في السير الشعبية للاستدلال والاستشهاد »⁽³⁾ لقدرته على الإقناع. ويرد أيضا كوسيلة « للصراع داخل المعركة، إذ يخوض الأبطال معارك كلامية»⁽⁴⁾ قبل صليل السيوف، وهذا يسهم في كسر الروتين السردية، وخلق جو حيوي يجذب إليه القارئ ك "السيرة الهلالية".
- 6- تقدم السيرة الشعبية صورة شاملة عن تركيبة « المجتمع العربي، وحقيقة الصراعات الدائرة حوله »⁽⁵⁾. ك "سيرة الأميرة ذات الهمة" وما تصوره من صراع بين العرب والروم، و"سيرة بني هلال" التي تجسد صراعات عديدة من عرب وروم وأعاجم... إلخ.
- 7- مسايرة السير الشعبية لتعاليم الدين الإسلامي « فالبطل دائما عربي مسلم ينصر دينه (...) على عبادة الأوثان، وعلى غيرها من الأديان»⁽⁶⁾، وتقف معه قوى مسلمة تنتمي للعالمين الواقعي والخيالي.
- وهذه الخصائص تمثل دعامة أساسية لتلك « الأعمال الروائية التي حكى التاريخ الأسطوري»⁽⁷⁾. والتي منها: سيرة "الزير سالم"، سيرة "عنترة بن شداد"، سيرة "سيف بن ذي

(1) فاروق خورشيد، عالم الأدب الشعبي العجيب، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط1، 1991، ص28.

(2) فاطمة حسين المصري، الشخصية المصرية (من خلال: دراسة بعض مظاهر الفلكلور المصري)، ص92.

(3) فاروق خورشيد، فن كتابة السيرة الشعبية (دراسة فنية نقدية للسيرة الشعبية: عنترة بن شداد)، ص254.

(4) فاطمة حسين المصري، الشخصية المصرية (من خلال: دراسة بعض مظاهر الفلكلور المصري)، ص93.

(5) فاروق خورشيد، فن كتابة السيرة الشعبية (دراسة فنية نقدية للسيرة الشعبية: عنترة بن شداد)، ص253.

(6) فاطمة حسين المصري، الشخصية المصرية (من خلال: دراسة بعض مظاهر الفلكلور المصري)، ص92.

(7) فاروق خورشيد، عالم الأدب الشعبي العجيب، ص52.

يزن"، سيرة "الظاهر بيبرس"، سيرة "الأميرة ذات الهمة"، سيرة "علي الزبيق"، سيرة "حمزة البهلوان"، سيرة "بني هلال"؛ حيث تمثل هذه الأخيرة قمة القصص البطولي في الأدب الشعبي العربي، وهي تتناول مسيرة قبيلة بأكملها، التي استوطنت منذ العصر الجاهلي الجزيرة العربية، وهي كنص تقدم لنا نموذجاً مؤسساً يبرز بوضوح « خصوصية النص السردي الشعبي الذي ظل لأمد طويل يروى شفاهاً»⁽¹⁾ قبل تدوينه.

وهذه السيرة هي محور الدراسة الذي سنقف إزاءه في هذا البحث فقد اختلفت الطبقات حولها؛ حيث يشير "سعيد يقطين" إلى بعض الطبقات المعتمدة، نذكر منها⁽²⁾:

1- سيرة بني هلال الشامية الأصلية، وهي تشتمل على ستة وأربعين جزءاً، ملتمزم الطبع عبد الحميد أحمد حنفي، القاهرة، ط1، 1948.

2- تغريبة بني هلال ورحيلهم إلى بلاد الغرب وحروبهم مع الزناتي خليفة... المكتبة الشعبية بيروت، (د ت).

3- تغريبة بني هلال ورحيلهم إلى بلاد الغرب، وهي ستة وعشرون جزءاً، مطبعة مكتبة محمد المهاني، (د ت).

وهذه الطبقات تتدرج ضمن ثلاثة أقسام⁽³⁾:

القسم الأول: وهو يضم الحقبة الأولى من ظهور "هلال" إلى قصة "الماضي بن مقرب".
القسم الثاني: وهو ما يعرف بـ "تغريبة بني هلال" ويتصل بخروج "بني هلال" إلى الغرب إلى حين إعتقال "السلطان حسن" لـ "الأمير دياب بن غانم".
القسم الثالث: وتمتد من إعتقال "دياب" إلى ظهور "علي أبو الهيجات"، وتولي "بريقع بن السلطان حسن" الملك مكان أبيه.

(1) سعيد يقطين، السرد العربي (مفاهيم وتجليات)، منشورات الإختلاف، الجزائر، ط1، 2012، ص 255.

(2) ينظر: المرجع نفسه، ص 257، 258.

(3) المرجع نفسه، ص 258، 259.

غير أن اهتمامنا انصب حول "نص التغريبة". الذي يعتبر الجزء الثالث للسيرة، وهي تمثل محطة مهمة من تاريخهم؛ أين تم صياغتها في قالب فني يمتزج بين التاريخ والأدب؛ تاريخ لبطل أو مجموعة أبطال، وأدب يظهر أحوال العامة وثقافتها وذائقتها الفنية ومواقفها من الحياة. وكانت الطبعة المعتمدة في الدراسة تختلف عما ذكره "سعيد يقطين"؛ حيث تم إصدارها عن: دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، سنة 2003.

ولكن قبل الخوض في غمار هذه الدراسة، كان لا بد لنا من الوقوف على جذور القبيلة، ودواعي هجرتها نحو المغرب، وأخيرا أهم الآثار الناتجة عن الهجرة.

رابعا: لمحة تاريخية لسيرة بني هلال (التغريبة):

1- الأصل التاريخي لبني هلال:

تمثل الهجرة الهلالية منعطفًا حاسمًا لتاريخ المغرب العربي؛ وهذا يعود إلى تركيبة الشعوب الوافدة على المنطقة، والتي ترجع - بإجماع النسابين العرب القدامى - إلى « هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر»⁽¹⁾، وهم مجموعة من القبائل البدوية المتفرعة إلى بطون عديدة تتألف من « الأثبج ورياح وزغبة وقره بن عبد مناف، وكلهم أبناء أبي ربيعة بن نهيك بن هلال»⁽²⁾.

كانو يقطنون « بالحجاز ونجد حول مكة، وفي بسائط الطائف ما بينه وبين جبل غزوان»⁽³⁾، وهذا كان في الجاهلية، حتى إذا جاء الإسلام وكثرت الفتوحات وتوسعت الرقعة

(1) ابن حزم الأندلسي، جمهرة أنساب العرب، تح: إليفي بروفسال، دار المعارف، القاهرة، مصر، (د ط)، (د ت)، ص261.

(2) عبد الرحمن بن خلدون، تاريخ ابن خلدون (ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر)، تح: خليل شحادة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ج1، (دط)، 2001، ص31، 32.

(3) عمر رضا كحالة، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، المكتبة الهاشمية، دمشق، سوريا، ج3، (دط)، 1949، ص132.

الجغرافية للبلاد العربية. « انتقلوا إلى الشام، وسكنوا الجزيرة الفراتية (...) وكانوا في أغلب أحوالهم يتكسبون من فلاح الأرض ورعي الماشية تارة، ومن الغزو وقطع الطرق تارة أخرى». (1) وقد كانوا يشكلون هاجسا للدولة العباسية، لذلك كان « خلفاء بني العباس يبعثون لهم البعوث تلو البعوث لزجهم وكف عاديتهن عن المسافرين ولا سيما حجاج بيت الله الحرام» (2)، ولكن مع ظهور الدولة الفاطمية كقوة موازية للعباسية « وهزيمتها للقرامطة في الشام. انسحب هؤلاء إلى البحرين» (3).

واستطاع الفاطميون بإيعاز من "الوزير اليازوري" استقدامهم إلى صعيد مصر (4). غير أنهم « أكثروا فيها الفساد والنهب» (5) الأمر الذي دفع بالوزير إلى إرسالهم « إجازة النيل، وكان ممنوعا عليهم، وتسريبهم إلى البلاد المغربية» (6) وإقطاعهم المنطقة وتوليتهم عليها، وكان ذلك سنة «442هـ/1051م» (7)؛ أي في غضون "القرن الخامس للهجرة". ومن هنا تبدأ مسيرة الهجرة الهلالية إلى المغرب التي امتدت وتوسعت لتصل إلى تخوم الأندلس، ولكن الكشف عن هذا الجانب المهم من حياة الهلاليين يجعلنا نتوق لمعرفة المزيد عنهم؛ فكان لنا الوقوف على أسباب الهجرة الهلالية، نظرا لأهمية الدور الذي لعبته هذه الأخيرة في تخليد أسمائهم على صفحات التاريخ.

(1) عبد الوهاب بن منصور، قبائل المغرب، المطبعة الملكية، الرباط، المغرب، ج1، (د ط)، 1968، ص413.

(2) المرجع نفسه، ص413.

(3) عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، مصر، (دط)، 1990، ص589.

(4) ينظر: عبد الرحمن بشير، من تاريخ تونس الإسلامي إفريقية الإسلامية (دراسات اجتماعية واقتصادية)، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الجيزة، مصر، ط1، 2013، ص11.

(5) عبد الرحمان بن محمد الجيلاني، تاريخ الجزائر العام، ص336.

(6) حسن حسيني عبد الوهاب، خلاصة تاريخ تونس (مختصر مدرسي يشمل ذكر حوادث القطر التونسي من أقدم العصور إلى الزمان الحاضر)، دار الكتب العربية الشرقية، تونس، ط3، (د ت)، ص94.

(7) حمّادي السّاحلي، الدولة الصنهاجية (تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن 10 إلى القرن 12م)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ج1، ط1، 1992، ص245.

2- أسباب هجرة بني هلال إلى المغرب:

يمثل موقع شبه الجزيرة العربية نقطة الانطلاق للعديد من الهجرات البشرية، التي كانت موسمية أحيانا وأبدية أحيانا أخرى، وهو ما ينطبق على الهجرة الهلالية التي تعتبر الأوسع مدى على الإطلاق. من كل ما سبقها من هجرات في المنطقة وأضحت نتاجا لجملة من الدوافع والأسباب المتشعبة والمتداخلة، أهمها:

1- كان التواجد الهلالي في مصر مصدرا « للكثير من الاضطرابات والنزاعات والفتن»⁽¹⁾. فأصبح من الطبيعي التفكير بضرورة التخلص منهم. لا سيما وأن الدولة الفاطمية كانت تعاني آنذاك « أزمة إقتصادية حادة وصلت إلى حد المجاعة »⁽²⁾. مما دفع إلى اتخاذ حل عاجل لاحتواء الأزمة فتم ذلك بتشجيع الهلاليين بالهجرة إلى المغرب.

2- يمكن أن يعزى أمر الهجرة الهلالية للباعث الطبيعي؛ حيث كانت نجد في غابر الأزمان « كثيرة المياه والغدران، والسهول والوديان »⁽³⁾. ومع مرور الوقت « تغير قطرها واضمحل، وانقطع عنها الحشيش والنبات، وعم البلاء من جميع الجهات ولم يعد فيها شئ من المأكولات »⁽⁴⁾. وكان السبيل للرحلة إلى مختلف البلدان والمواضع بما فيها المغرب- طلبا للرزق- أقرب الحلول للشعوب الهلالية التي زحفت نحو المغرب.

3- تبقى هذه الأسباب عرضية أمام الدافع السياسي، إذ يجمع أغلب المؤرخين على أن « الهجرة الهلالية بكل ما تبعها من تأثيرات عرقية، وسياسية، وحضارية»⁽⁵⁾ إنما

(1) عبد الحميد بوسماحة، رحلة بني هلال إلى الغرب وخصائصها التاريخية والاجتماعية والإقتصادية، دار السبيل للنشر والتوزيع، بن عكنون، الجزائر، ج1، (د ط)، 2008، ص70.

(2) المقرئ، إغاثة الأمة بكشف الغمة، تح: كرم حلمي فرحات، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الهرم، مصر، ط1، 2007، ص190.

(3) جمانة كعكي، تغريبة بني هلال، دار الفكر العربي للطباعة والنشر والتوزيع والصحافة، لبنان، ط1، 2003، ص7.

(4) المصدر نفسه، ص7.

(5) عبد الحميد سعد زغلول، تاريخ المغرب العربي (الفاطميون وبنو زيري الصنهاجيون إلى قيام المرابطين)، منشأة المعارف بالإسكندرية، القاهرة، مصر، ج3، (د ط)، 1990، ص417.

ترجع في الأساس إلى تلك « القطيعة المذهبية والسياسية بين الخلافة الفاطمية في القاهرة وبين نوابها الزيريين في القيروان»⁽¹⁾. وكان هذا في عهد "المعز بن باديس الصنهاجي" الذي حاول القضاء على المذهب الشيعي في المغرب.

إن إضاءة هذا الجانب المهم من الهجرة الهلالية يمكن أن يكشف لنا بعض الأحداث والوقائع التاريخية لهذه الواقعة، ولكنها غير كافية لإعطاء صورة شاملة عنها، لذلك كان ينبغي علينا تسليط الضوء على جانب آخر أكثر أهمية، والمتمثل في الانعكاسات المنبثقة عن الغزو الهلالي، ومدى تأثيره على أبناء المنطقة.

3- النتائج المترتبة عن هجرة بني هلال إلى المغرب:

يمكن لأي هجرة بشرية أن تغير من طبيعة المجتمع المستقبل لها، وهذا ما نلاحظه في هجرة بني هلال التي انبثقت عنها جملة من الانعكاسات والآثار. منها:

1- نجد الشعوب الهلالية عقب غزوها للبلاد المغاربية قد أدخلت « النظام القبلي العربي، وفي نفس الوقت حياة البدو والرحل القائمة على تربية الحيوانات، فتقلصت الحياة الحضارية وانكشفت بصورة عامة. منحصرة في المناطق المحظوظة مثل منطقتي تونس وقابس»⁽²⁾. وهو ما يعني أن الفرد الهلالي ظل متشبثاً بأصوله وجذوره التي تربطه بشبه الجزيرة العربية، ولم يتغير رغم الهجرات والرحلات التي قام بها؛ بل استطاع أن يؤثر بها على غيره.

2- لقد كانت الضربات الموجعة والموجهة للدولة الصنهاجية، أثناء الغزو الهلالي للمغرب كفيلة بحصرهم في منطقة واحدة، وهي « المهديّة التي أسسها المعز بن باديس»⁽³⁾ آخر معاقل الصنهاجيين.

(1) المرجع السابق، ص 417.

(2) محمد الهادي الشريف، تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الإستقلال، دار سراس للنشر، تونس، ط2، 1993، ص 50.

(3) حمّادي السّاحلي، الدولة الصنهاجية (تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن 10 إلى القرن 12 م)، ص 166.

3- لقد شكل غزو القبائل العربية على المغرب هجوما عنيفا؛ حيث « خرب العرب العمران، وأتو على معالم الحضارة بإفريقية، من زراعة وتجارة ومنشآت، وخربت صبرة، والقيروان، وتونس، وطنجة، والمسيلة، وقلعة بني حماد»⁽¹⁾ وسار الدمار في المنطقة التي كانت تعيش انتعاشا ونماء في ذلك الوقت.

4- خضعت بلاد المغرب للكثير من الانقسامات إبان الوجود الهلالي، فكانت بهذا شبيهة « بملوك الطوائف في الأندلس»⁽²⁾؛ حيث تمركزت قبائل بني « زغبة ورياح في برقة وطرابلس، كما استقرت بنو هلال وسليم في منطقة تونس وما يليها (...) وانحصر سلطان الدولة الزييرية في المهديّة»⁽³⁾ فأضحى المجتمع المغربي خليطا متعدد الأجناس من عرب وبربر.

5- لكن النظر في هذه الدوافع لا يعني أن للهجرة الهلالية وجه سلبي دوما؛ إذ لعب بنو هلال « دورا كبيرا في تعريب بلاد المغرب ونشر الإسلام بين البربر»⁽⁴⁾ ولم يكن اتصالهم عرقيا بقدر ما كان لغويا؛ حيث تحيزت القبائل البربرية إلى « الأجدام العربية العريقة، كما فعلت زناتة بانتسابها إلى القيسية، أو صنهاجة إلى الحميرية اليمنية»⁽⁵⁾. وهنا نجد رجوع النزاعات القيسية اليمنية، بعدما كانت قد قتلتها "الهجرة الهلالية".

(1) عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، (د ط)، 1990، ص 586.

(2) المرجع نفسه، ص 587.

(3) محمود السيد، تاريخ دولة المغرب العربي (ليبيا- تونس- الجزائر- المغرب- موريطانيا)، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر، (د ط)، 2010، ص 41.

(4) عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، تاريخ المغرب والأندلس، ص 189.

(5) عبد الحميد سعد زغلول، تاريخ المغرب العربي (الفاطميون وبنو زييري الصنهاجيون إلى قيام المرابطين)، ص 281.

إن التقارب الموجود بين ما حفظته ذاكرة التاريخ عن هذه الواقعة- الهجرة الهلالية- وبين ما وجدناه في نص "التغريبة"، دفعنا إلى محاولة استخلاص الأثر التاريخي لهذا النص من خلال عناصر البنية السردية لـ "التغريبة".

الفصل الأول:

الشخصية الحكائية وأثرها التاريخي (دراسة في تغريبة بني هلال)

أولاً: الشخصية الحكائية التاريخية بين المفهوم اللغوي والاصطلاحي

1 - المفهوم اللغوي

2 - المفهوم الاصطلاحي

ثانياً: تصنيفات الشخصيات الحكائية عند 'فيليب هامون'

1- فئات الشخصيات الحكائية ذات المرجعية التاريخية

1-1- شخصيات ذات مرجعية دينية

1-2- شخصيات ذات مرجعية اجتماعية

1-3- شخصيات ذات مرجعية ثقافية

1-4- شخصيات ذات مرجعية سياسية

2 - شخصيات ذات مرجعية فكرية

3- شخصيات ذات مرجعية أسطورية

4- شخصيات ذات مرجعية مجازية

الفصل الأول: الشخصية الحكائية وأثرها التاريخي (دراسة في تغريبة بني هلال)

سنقوم في هذا الفصل، بتسليط الضوء على الشخصية الحكائية، ومحاولة استبيان الأثر التاريخي منها، من خلال عرض الأدوار التي لعبتها في المدونة، والتي يقف التاريخ شاهدا عليها. كما سنحاول قراءة بعض الشخصيات سيميائيا، من خلال التطرق إلى تصنيفها من منظور "فيليب هامون" وعرضها بالدراسة.

أولا: الشخصية الحكائية التاريخية بين المفهوم اللغوي والاصطلاحي:

1- المفهوم اللغوي:

ورد في (لسان العرب) "لابن منظور" بخصوص لفظة "الشخصية" فـ «الشَّخْصُ جَمَاعَةٌ مِنْ شَخْصِ الْإِنْسَانِ وَغَيْرِهِ ، مُذَكَّرٌ وَالْجَمْعُ أَشْخَاصٌ وَشَخُوصٌ وَشَخَاصٌ. الشَّخْصُ كُلُّ جِسْمٍ لَهُ ارْتِفَاعٌ وَظُهُورٌ وَالْمُرَادُ بِهِ اثْبَاتُ الذَّاتِ فَاسْتُعِيرَ لَهَا لَفْظُ الشَّخْصِ»⁽¹⁾.

كما وردت هذه اللفظة في (المعجم الوسيط) باسم "الشَّخْصِيَّة" على النحو الآتي: «(الشَّخْصِيَّة): صِفَاتٌ تُمَيِّزُ الشَّخْصَ عَنْ غَيْرِهِ، وَيُقَالُ: فُلَانٌ ذُو شَخْصِيَّةٍ قَوِيَّةٍ أَي: ذُو صِفَاتٍ مُتَمَيِّزَةٍ وَإِرَادَةٌ وَكَيَانٌ مُسْتَقِلٌّ»⁽²⁾.

تتفق كل المعاجم على أن: الشَّخْصِيَّة في اللُّغَةِ، تَتَّصِفُ الْإِنْسَانَ، مَرَكِزَةً فِي الْوَقْتِ ذَاتَهُ عَلَى مُحِيطِهِ، سَوَاءً ارْتَبَطَ بِهِ أَمْ لَا. ولكن إذا حاولنا البحث عن موضع الشَّخْصِيَّة في الْخِطَابِ الْحِكَايِيِّ، فإننا سنجد أنفسنا أمام المفهوم الاصطلاحي لها.

2- المفهوم الاصطلاحي:

تمثل الشخصية مكونا مهما من المكونات الفنية للعمل السردي، وهي مركز الحكي وأساس معماره، الذي لا يمكن الاستغناء عنه؛ فلا يمكن تصور أي خطاب نثري دون وجود شخصية، فهي التي تكونه وتؤسسه وتبرز معالمه.

(1) ابن منظور، لسان العرب، مادة (ش، خ، ص)، ج7، ص45.

(2) ابراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ج1، ص475.

الفصل الأول: الشخصية الحكائية وأثرها التاريخي (دراسة في تغريبة بني هلال)

وقد تجلت عدة مفاهيم حولها، فأصبحت مثار جدل بين الدارسين والباحثين، وتعد الشخصية « القطب الذي يتمحور حوله الخطاب السردي، وهي عموده الفقري الذي يركز عليه». (1) « والشريان الذي ينبض به قلبها؛ لأن الشخصية تصطنع اللغة، وتثبت الحوار وتلامس الخلجات، وتقوم بالأحداث ونموها، وتصف ما تشاهد». (2) ولهذا تعد بمثابة الوعاء أو القالب الذي يختزل الأفكار والتصورات؛ لما لها من أهمية قصوى نظرا لمقامها الذي تشغله في عملية السرد.

ويقول "واطسن (Watson)": « إن الشخصية هي جماع أنواع النشاط التي نلاحظها عند الفرد (...) تسمح لنا بالتعرف عليه حق التعرف؛ أي أن الشخصية ليست أكثر من النتاج النهائي لمجموعة العادات عند الفرد» (3)، لذا يمكننا التعرف عليها بالنظر إلى النشاط الذي تقوم به والسلوك المميز للفرد دون غيره، تختلف من فرد إلى آخر كل الاختلاف أو بعض الاختلاف، هذا إن لم نمض في الأمر إلى أقصاه، فنقول إن هذه القيمة التي يتعلق بها الفرد هي التي تصنع شخصيته (4)، وتثبت هويته وتميزه عن باقي أفراد المجتمع، من خلال عادات سلوكية مكتسبة ووظائف قد مارسها بالخبرة والتجربة.

مما يصعب إعطاء تعريف دقيق للشخصية الحكائية؛ حيث تعتبر « في الأدب مشكل إبداعي رئيسي يرتبط ظهوره بالحكي والقص والرواية» (5) وتعرف على أنها:

(1) جميلة قيسون، الشخصية في القصة، مجلة العلوم الإنسانية، قسم الأدب العربي، جامعة قسنطينة، الجزائر، ع6، 2006، ص195.

(2) عبد الرحمان حمدان، بناء الشخصية الرئيسة في رواية "عمر يظهر في القدس" للروائي نجيب الكيلاني، بحث مقدم للمؤتمر الخامس لكلية الآداب (القدس تاريخا وثقافة)، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين، ماي 2011، ص 113.

(3) فاتح عبد السلام، تعريف السرد (خطاب الشخصية الريفية في الأدب)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2001، ص26.

(4) ينظر: المرجع نفسه، ص 27.

(5) أمينة فزاري، سيميائية الشخصية الحكائية في تغريبة بني هلال، دار الكتاب الحديث، القاهرة، مصر، ط1، 2011، ص 49.

الفصل الأول: الشخصية الحكائية وأثرها التاريخي (دراسة في تغريبة بني هلال)

« تركيب جديد يقوم به القارئ أكثر مما هي تركيب يقوم به النص»⁽¹⁾ فالمتلقي، له الدور الفعال في عملية قراءة وفهم الشخصية، بنظرة مخالفة عن سواه، انطلاقاً من تصوره المعرفي ومخزونه الثقافي الذي يمتلكه.

كما أن « مفهوم الشخصية ليس مفهوماً أدبياً محضاً، وإنما هو مرتبط أساساً بالوظيفة النحوية التي تقوم بها الشخصية داخل النص، أما وظيفتها الأدبية فتأتي حين يحتكم الناقد إلى المقاييس الثقافية والجمالية»⁽²⁾ وبهذا فهي ذات طبيعة لسانية بعيدة عن المفهوم الأدبي، إلا عند إبراز الناقد للمعايير الفنية والجمالية في النص السردى.

ويمكن تعريفها كذلك بأنها « نتاج عمل تأليفي؛ أي أن هويتها موزعة في النص عبر الأوصاف والخصائص التي تستند إلى اسم "علم" يتكرر ظهوره في الحكى»⁽³⁾، فهي عنصر أساسي في الحكى، من خلال ما يمنحه لها الإطار النصي. فالشخصية الحكائية هي بؤرة العمل السردى، ولبه الذي يقوم عليه.

والشخصية الحكائية التاريخية هي تلك الشخصيات المثبتة في التاريخ؛ حيث « يستوحىها المؤلف من كتب التاريخ وأحداثه، ويكون موضوعها مقتبساً من سير القادة ورجال الدين، أو أصحاب الحركات والثورات التاريخية للشعوب مع مختلف أجناسها»⁽⁴⁾، وبهذا فإن هذا النوع من الشخصيات قد أثر في التاريخ، تاركاً بصماته مدونة على صفحاته.

(1) حميد الحميداني، بنية النص السردى (من منظور النقد الأدبي)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط 3، 2000، ص 50.

(2) حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي (الفضاء، الزمن، الشخصية)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط 1، 1990، ص 213.

(3) حميد الحميداني، بنية النص السردى (من منظور النقد الأدبي)، ص 51، 52.

(4) عبد الخالق نادر أحمد، الشخصية الروائية بين أحمد باكثير ونجيب الكيلاني (دراسة موضوعية وفنية)، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، كفر الشيخ، مصر، ط 1، 2009، ص 51.

الفصل الأول: الشخصية الحكائية وأثرها التاريخي (دراسة في تغريبة بني هلال)

وتظل الشخصية الحكائية التاريخية عنصرا فعالا في السيرة، وفي جل الأعمال السردية؛ إذ ليس بالأمر السهل أو الهين على أي باحث في مجال السيرة الشعبية، أن يقوم بإحصاء كافة الشخصيات الحكائية التاريخية الموظفة فيها، لذا تعتبر «امبراطورية للشخصيات»⁽¹⁾ على حد تعبير "سعيد يقطين"؛ بحيث لا يمكن حصرها، أو معالجتها بطريقة شاملة وكافية، خاصة إذا تعلق الأمر بدراسة التاريخ، واستتباط أثره في المدونة غير أننا سنحاول دراسة البعض منها في الجدول الآتي:

دراسة الأثر التاريخي للشخصية الحكائية				
الشخصية	النص	الجزء	الصفحة	الأثر التاريخي
السلامة	«أن يذهب أبو زيد إلى بلاد الغرب فيجس الأحوال، ويأتيهم بحقيقة الأخبار»	1	10	سلامة ابن رزق ويلقب بأبو زيد، أحد الشخصيات البارزة في تاريخ الهلاليين ويعتبر من القادة الذين يعتمد عليهم في الحرب والطعان، حفظت لنا التغريبة جزءا مهما من شجاعته وقوته
	«اسمك سلامة بن رزق الذاكي مشهور في الدنيا صيتك صار».	9	118	الجسارة في مبارزة عدوه، وهو شديد الافتخار بالانتساب إلى قبيلته الأم على حساب قبيلته "كرفة" الهلالية. وبالرغم من كل ذلك إلا أنه ظل لونه الأسود الغرابي معيرة له، وهذا للطبيعة العربية التي كانت دوما تستنفر من هذا اللون وتربطه بالعبودية.
	«نادت وقالت يا عشيقة عبدنا ردي لهودجك بغير بغير تغيرا».	14	179	191

(1) سعيد يقطين، قال الراوي (البنيات الحكائية في السيرة الشعبية)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1،

الفصل الأول: الشخصية الحكائية وأثرها التاريخي (دراسة في تغريبة بني هلال)

<p>دياب بن غانم الزغبى، فارس مقدم عرف بشجاعته وقوته الجبارة التي لا تقهر من أجل الفتك بأعداءه وكانت أوصافه مطابقة للمعنى التاريخي الذي يحمله اسم قبيلته من "بني زغبى"؛ حيث جاء بمعنى الشؤم والنحس والخراب، وهو ما انعكس في نص التغريبة من قيامه بخيانة أهله وعشيرته بني هلال وذلك بقتله لصهره الحسن ورفيقه أبو زيد للظفر بالسلطة والحكم.</p>	228	16	<p>« يقول الفتى الزغبى دياب بن غانم ودم الفتى بعد الفعال حرام أنا فارس الشرقيين والغرب واليمن وذكرى ملا مصر وأرض الشام».</p>	<p>الزغبى</p>
<p>مطابقة للمعنى التاريخي الذي يحمله اسم قبيلته من "بني زغبى"؛ حيث جاء بمعنى الشؤم والنحس والخراب، وهو ما انعكس في نص التغريبة من قيامه بخيانة أهله وعشيرته بني هلال وذلك بقتله لصهره الحسن ورفيقه أبو زيد للظفر بالسلطة والحكم.</p>	325	21	<p>« فشاورت نفسي يا دياب بن غانم وقلت لنفسي اتبعين أخوك فلا زلت بالسوء والشر والبلا تحرك وفعلك بالقبيح حروك ذبحت حسن تحت الدجى وهو موجه وعاد فراشه بالدماء معروك خنت أبو زيد الهلالي سلامة وجميع عباد الله ما شكروك».</p>	
<p>هو سلطان بني هلال، اسمه حسن بن سرحان، ينتهي نسبه إلى هلال انطلاقاً من من انتمائه لقبيلة بني دريد التي هي بطن من بطون "الإثبج"، إحدى القبائل الهلالية، التي تشترك مع نسب في انتمائه إلى العدنانية العاربة وتصوره</p>	13	1	<p>« يقول الفتى حسن الهلالي أبو علي فذكرى قد غدا في الكون شائع بالجوود والمعروف والفضل والعطا والأنس واللطف مع حفظ الشرائع وأمي شريفة من سلالة هاشم حرائر كرام لابسات البراقع».</p>	<p>السلطان حسن بن سرحان</p>
<p>التغريبة على أنه فارس مقدم عرف بكرمه وجوده ، خاصة في إكرام الشعراء بمنحهم الهدايا والعطايا الجزيلة، وهذا الكلام لا يبتعد كثيراً عما نجده مدونا في صفحات التاريخ العربي.</p>	293	19	<p>« يقول الفتى شبل الدريدي بما جرى ألوم نفسي ومالي أحد لايم ألا يا ابن سرحان أنت فخري فنحن من الأقارب والللزائم».</p>	

الفصل الأول: الشخصية الحكائية وأثرها التاريخي (دراسة في تغريبة بني هلال)

<p>"الجازية أخت السلطان حسن بن سرحان"، ذات الرأي السديد والتدبير الحسن، لها مقامة عليّة ومشورة كبيرة في قبيلتها، مشجعة الأبطال في ساحة الوغى، بها يضرب المثل في الحسن والجمال، شددت عقول الرجال، وهواها كل من رآها من الملوك وأبناء الأمانة، وهذه الأوصاف كان لها جانب من الواقعية التي رسمها التاريخ عن المرأة الهلالية.</p>	193	15	<p>« الجازية من أشرف نساء العربان ولا سيما أنها أخت الأمير حسن العظيم الشأن».</p>	<p>الجازية الهلالية</p>
<p>ومشورة كبيرة في قبيلتها، مشجعة الأبطال في ساحة الوغى، بها يضرب المثل في الحسن والجمال، شددت عقول الرجال، وهواها كل من رآها من الملوك وأبناء الأمانة، وهذه الأوصاف كان لها جانب من الواقعية التي رسمها التاريخ عن المرأة الهلالية.</p>	197	15	<p>« بينما كان الماضي جالسا على الطعام قال له أحد الأعوان اعلم يا ملك الزمان قد بلغني من بين النسوان، أنه يوجد من هلال امرأة بديعة الجمال، عديمة المثال في الحسن والكمال، والقدر والاعتدال وفصاحة المقال، غلا يوجد مثلها في الخلق لا في الغرب ولا في الشرق واسمها الجازية».</p>	
<p>هو شكر بن أبي الفتوح الحسن بن أبي جعفر بن هاشم محمد بن موسى بن عبد الله أبي الكرام بن موسى الجون بن عبد الله بن ادريس، كان حاكما على مكة، تزوج بالجازية الهلالية أخت السلطان حسن، توفي في 453هـ.</p>	24	1	<p>« اجتمعوا في شكر الشريف بن هاشم، المنعوت بالشرف والمكارم، وهو زوج الجازية، أخت السلطان حسن».</p>	<p>شكر بن أبي جعفر بن هاشم محمد بن موسى بن عبد الله أبي الكرام بن موسى الجون بن عبد الله بن ادريس</p>

الفصل الأول: الشخصية الحكائية وأثرها التاريخي (دراسة في تغريبة بني هلال)

<p>تتنسب هذه الشخصية التاريخية إلى قبيلة "خفاجة"، التي كان لها مكانتها، وذاع صيتها ببلاد العراق في فترة من الفترات، وتصنف ضمن القبائل البدوية التي نزحت إلى شبه الجزيرة العربية، لذلك نلمس تآلفاً وأخوة بينها وبين الهلاليين، وتقارباً كبيراً في العادات والتقاليد، لا سيما في الجود والكرم، الذي خصصته التغريبة، في شخص "الخفاجي عامر" بصفته فرداً منها.</p>	24	1	<p>« وصلوا إلى عند الخفاجي عامر حاكم بلاد العراق، وتلك البراري والآفاق وكان رجلاً كريماً الأخلاق ».</p>	<p>الفصل الأول</p>
<p>هذه الشخصية لها مكانتها في تاريخ العراق، من خلال حكمه لعدة مناطق فيها من بينها "بلاد النير"، ويعد من الملوك لعظام والسلاطين الشجعان الذين</p>	14	1	<p>«حتى أشرف على بلاد النير (...) وكان يحكم عليها في ذلك الزمان ملك عظيم الشأن، صاحب أبطال وفرسان، اسمه الدبيسي بن مزيد ».</p>	<p>الفصل الأول</p>
<p>لا يقدر العواقب، وهو يعرف قوة منافسه بذكائه ومعرفته في القتال والطعان فقد واجه غزاة بلده بكل بسالة، وإقدام ولم يتراجع إلى الوراء ولو بخطوة واحدة، فعل فعلاً خلد لها له التاريخ، ولا سيما حروبه مع القرامطة والهلاليين؛ حيث خاض حروباً وأياماً طويلة ضدهم.</p>	38	1	<p>« كان من صناديد الأبطال وشجعان الرجال لا يقدر العواقب، ولا يخشى حلول المصائب، وكان من الشجاعة والفروسية في طبقة عليية، فكان يفتخر بنفسه على أبناء جنسه، ويفضل ذاته على جميع الفرسان في ساحة الميدان ».</p>	<p>الفصل الأول</p>

الفصل الأول: الشخصية الحكائية وأثرها التاريخي (دراسة في تغريبة بني هلال)

<p>يلتقي نسب الماضي بن مقرب مع بني هلال من خلال انتمائه لقبيلة العمور التي تنقسم إلى بطنين كبيرين هما: "بني عبد الله"، "بني قرة"، وهذه الأخيرة تنسب لها هذه الشخصية في جذرها التاريخي، والتي أثر عنها اتباعها لسياسة عادلة ومتوازنة في حكمها لبلاد الصعيد، وتمتعها بصفات أخلاقية فاضلة من كرم وسخاء، ورثته عن أسلافها من العرب بنجد.</p>	196	15	<p>«كان الحاكم عليها في تلك الأيام رجل صاحب قدر ومقام، وفضل واحترام عديم المثال بين الرجال، قد اتصف بالجوهر والكرم ومحاسن الشيم، وبجوده كانت تضرب الأمثال في المشرق والمغرب، واسمه الماضي بن مقرب، كان صاحب حسب وأصله من بلاد العرب.»</p>	<p>بني هلال</p>
<p>هو تبان أسعد أبو كرم بن ملكي كرب بن زيد الأقرن وهو حسان تبع، وقد استطاع السيطرة على مناطق عديدة في المشرق العربي أهمها الشام، أثر عنه علو مكانته، وشدة بأسه في الحروب والمعارك، كان جوهرة نادرة بامتياز في أعظم العصور التاريخية باليمن؛ حيث يعتبر أحد أهم الملوك التابعة الحميريين نظرا لما حققه من إنجازات وبطولات معتبرة، كان لها عظيم الأثر في المشرق العربي.</p>	138	11	<p>« حاكم في تلك الأيام على دمشق الشام، كان صاحب جاه ومقام، وكان من أشد فرسان المعارك، واسمه شبيب التبعي.»</p>	<p>شبيب التبعي</p>

الفصل الأول: الشخصية الحكائية وأثرها التاريخي (دراسة في تغريبة بني هلال)

<p>يثبت التاريخ وجود شخص اسمه خليفة الزناتي الذي ينتسب إلى بني يفرن الزناتيين، وقد كان وزير بني خزر صاحب تلمسان في عهد الدولة الفاطمية في الجزائر، وقد قامت بينه وبين الهلاليين حروبا طويلة انتهت بقتله في نواحي الزاب.</p>	223	16	<p>« يقول الزناتي والزناتي خليفة تونس مدينتنا ونحن كبارها ».</p>	الزناتي خليفة
<p>لهذه الشخصية وقع كبير في تاريخ المغرب العربي الإسلامي، وهو الناصر بن عناس خامس أمراء بني حماد، الذي مكر به تميم بن المعز الزيري، حينما تحالف مع عرب بني هلال (رياح وزغبة) و(الزناتة) ضده، فجر عليه هزيمة نكراء سميت بموقعة (حيدران) سنة (457هـ/1065م).</p>	28	17	<p>« في اليوم الحادي عشر هجموا الجهال عليهم من كل جهة ومكان، أبلوهم في الذل والويل، ونزلوا عليهم في طعنات وضربات ماضيات، وحرب شديد يشيب الطفل الوليد حتى أن الجهال قتلت من عساكر الأمير ناصر مقدار آلاف (...) فكانت موقعة ومقتلة عظيمة ».</p>	الناصر بن عناس

نلاحظ من خلال الجدول أن النصوص قد كشفت لنا شخصيات تاريخية، من خلال تسليط الضوء على بعض الجوانب المهمة من الأحداث والوقائع التاريخية، التي صادفت الهلاليين في المناطق التي مروا عليها لا سيما المغرب، باعتباره مركز الاستقرار والإقامة. وكما نلاحظ تنوع استخدام هذه الشخصيات بين الهلالية وغيرها في المدونة، وذلك نظرا لطبيعة الخصوم التي واجهوها، غير أننا نجد أغلب الشخصيات تدور ضمن قلب الأحداث في البناء الحكائي للتغريبة؛ حيث تزامن ظهورها مع قيام الهجرة الهلالية بالمغرب العربي.

الفصل الأول: الشخصية الحكائية وأثرها التاريخي (دراسة في تغريبة بني هلال)

ثانيا: تصنيفات الشخصيات الحكائية:

لقد تعددت تصنيفات النقاد لعنصر الشخصية، وتتنوعت كل حسب توجهه الخاص ومنهجه المتبع في دراسته، ولكن إذا نظرنا إلى المنظور السيميائي فسنجد أن الدراسة التي قام بها "فيليب هامون" (PH.Hamon) هي الأكثر نجاحا من غيرها؛ حيث حاول تقديم تصنيف يتماشى مع محتوى البناء النصي من خلال ثلاث فئات يرى أنها تغطي مجموع الإنتاج السردي، فمنها ما « يحيل على عالم سبقت المعرفة به، عالم معطى من خلال الثقافة أو التاريخ (الشخصي/ أو الجماعي) (...) ومنها ما يحدد الآثار المنتقلة من المؤلف (...) ومنها ما يكمن دورها في ربط أجزاء العمل السردي بعضها ببعض»⁽¹⁾.

ومن هذا المنطلق سنحاول، تطبيق هاته الفئات، لما هو موجود في المدونة قبل ذلك سنيشير إلى الجانب النظري لكل فئة على حده كالآتي:

1- فئة الشخصيات المرجعية (Référentiels Personnage):

تدخل ضمنها «الشخصيات التاريخية (...) الشخصيات الأسطورية (...) الشخصيات المجازية (...)» وكل هذه الأنواع تحيل على معنى ممتلئ وثابت، حددته ثقافة ما، كما تحيل على أدوار وبرامج، واستهلالات ثابتة، إن قراءتها مرتبطة بدرجة استيعاب القارئ لهذه الثقافة»⁽²⁾

فالشخصيات المرجعية إذن؛ تدل على معنى مستقر وثابت في ثقافة ما، وأهميتها متعلقة بفاعلية القراءة، ومشاركة القارئ في تلك الثقافة، وهي في كل الأحوال تتضوي تحت

(1) آسيا جريوي، سيميائية الشخصية الحكائية في رواية "الذئب الأسود" لـ"حنا مينا"، مجلة المخبر، كلية الآداب واللغات، جامعة بسكرة، ع6، 2010، ص250.

(2) فيليب هامون، سيميولوجية الشخصيات الروائية، تر: سعيد بنكراد، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سوريا، ط1، 2013، ص 35، 36.

الفصل الأول: الشخصية الحكائية وأثرها التاريخي (دراسة في تغريبة بني هلال)

« الواقع غير النصي (Extra-Textuel) الذي يفرزه السياق الاجتماعي أو التاريخي»⁽¹⁾. وهذا ما يدل على ثقافة المبدع وسعة إطلاعه.

2- فئة الشخصيات الواصلة (Personnage Embrayeures):

تندرج ضمن هذا النوع الكثير من الشخصيات منها « الشخصيات الناطقة باسم المؤلف والمنشدين في التراجيديات القديمة (...) والمؤلفين المتدخلين وشخصيات الرسامين، والكتاب والثرثارين والفنانين »⁽²⁾ وهي تحيل « إلى حضور المؤلف، والقارئ، أو من ينوب عنهما في النص»⁽³⁾ فهي شخصيات غائبة في النص؛ لكنها حاضرة ضمناً بحيث يمكن مشاهدتها من خلال القراءات التأويلية.

3- فئة الشخصيات الاستذكارية (المتكررة) (Personnage Anaphorique):

في هذا النوع من الفئات « تكون الإحالة ضرورية للتحكم الخاص بالعمل الأدبي»⁽⁴⁾ ذلك أن الشخصيات فيها « تقوم داخل الملفوظ بنسج شبكة من التدايعات والتذكير بأجزاء ملفوظية ذات أحجام متفاوتة ووظيفتها من طبيعة تنظيمية وترابطية بالأساس، إنها علامات تنشط ذاكرة القارئ إنها شخصيات للتبشير»⁽⁵⁾؛ حيث تظهر هذه الشخصيات في الحلم والاعتراف، وتقوم الشخصيات باسترجاع ماهيتها عن طريق الحوار الداخلي أو المونولوج. بما أن دراستنا تتعلق باستخلاص الجوانب التاريخية، فإننا سنقوم بالتركيز على دراسة الفئات المرجعية المتواجدة في المدونة؛ لأنها الأنسب لذلك. وهي تنقسم بدورها إلى أنواع:

(1) آسيا جريوي، سيميائية الشخصية الحكائية في رواية "الذئب الأسود" لـ"حنا مينا"، ص 251.

(2) حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي (الفضاء، الزمن، الشخصية)، ص 217.

(3) المرجع نفسه، ص 217.

(4) المرجع نفسه، ص 217.

(5) فيليب هامون، سيميولوجية الشخصيات الروائية، ص 36، 37.

الفصل الأول: الشخصية الحكائية وأثرها التاريخي (دراسة في تغريبة بني هلال)

1- شخصيات ذات مرجعية تاريخية (Personnage Refértielles

:Historique)

وهي تلك التي « تعود إلى أصل من التاريخ»⁽¹⁾ وحضورها كان حقيقيا؛ حيث سجلت اسمها على صفحاته بحروف من ذهب، لتكون مرجعا مهما ينهل منه، ويغترف من بحره. وهي تنقسم بدورها إلى عدة أنواع أهمها:

1-1 - شخصيات ذات مرجعية دينية (Personne avec autorité

:religieuse)

تعرف على أنها « تحمل فكريا عقائديا وأخلاقيا، تأخذ دور المرشد والمنقذ داخل العمل السردي»⁽²⁾ لتكسبه طابعا دينيا، يعبر عن قوة إيمان تلك الشخصية التي قامت باستحضارها، ومدى اطلاعها وسعة ثقافتها على الأديان الأخرى، غير العقيدة التي تدين بها. ومن تلك الشخصيات التي تم توظيفها في نص "تغريبة بني هلال" نذكر الشخصيات الآتية:

1-1-1 - النبي محمد ﷺ:

شخصية تاريخية إسلامية مهمة، ارتسم اسمه مع مجئ "الرسالة المحمدية" التي حملها إلى « المجتمع البشري، وأخرج بها الناس من الظلمات إلى النور»⁽³⁾. وقد جاء توظيفه في النص على نحو: « حتى وصلوا إلى الأراضي المشرفة وقلوبهم إلى زيارة قبر النبي متلهفة»⁽⁴⁾ وهنا إشارة واضحة إلى قداسة المكان الذي دفنت فيه، وقيمتها عند المسلمين بما فيهم عرب بني هلال؛ حيث أضحت زيارة مثل هذه البقاع المقدسة حلما معلقا يدغدغ وجدان ومشاعر كل مسلم.

(1) آسيا جريوي، سيميائية الشخصية الحكائية في رواية "الذئب الأسود" لـ"حنا مينا"، ص 251.

(2) عبد الخالق نادر أحمد، الشخصية الروائية بين "أحمد باكثير" و "نجيب الكيلاني"، ص 50.

(3) صفي الدين المباركفوري، الرحيق المختوم (بحث في السيرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام)، وزارة الشؤون الإسلامية، قطر، (د ط)، 2007، ص 15.

(4) التغريبة، ص 24.

الفصل الأول: الشخصية الحكائية وأثرها التاريخي (دراسة في تغريبة بني هلال)

وليس ببعيد عن هذا الحديث يصادفنا مقطع آخر، يوضح عظمة الصفات والمناقب المحمّدية وقيمتها، في شكل حوار دار بين "الحسن بن سرحان" و"المنذر" يظهر على نحو⁽¹⁾:

قمت أنا المنذر عليكم حاكم
وأنت يا منذر تكون عليهم
واحكم بقانون النبي محمد
فلا يعترض منكم له إنسان
شفوق ولا تظلم منهم إنسان
نبي الهدى من آل عدنان

وهنا نلاحظ وصف آخر لمناقب وأخلاق النبي المختار "محمد ﷺ" من خلال طلب "السلطان حسن" لـ "المنذر" التحلي بالرحمة، وتجنب الظلم « فأخلاقه ﷺ أشرف الأخلاق وأكرمها، وأبرها وأنظمها»⁽²⁾ وهو ما جعله يكون مؤهلاً للقيام بمهمة إرساء دعائم دولة إسلامية موحدة اتخذت من شريعة الله عز وجل منهاجاً ساري المفعول اعتمدته في جميع جوانب الحياة الإنسانية، فكان للهاليين نصيب منه بما أنهم جزء منها، من خلال دعوة "السلطان حسن" لـ "المنذر" باتباع طريق الإسلام المتضمن لكلام الله عز وجل، وسنة نبيه المختار عليه فضل الصلاة وأتم التسليم" في حكمه لـ "بلاد مصر"، كما تم في المقطع السردي المعني التطرق لنسب "الرسول ﷺ" من خلال العودة إلى الأصل العدناني الذي يرتبط بنسب أكارم الخلق وخيرتهم، وهم الأنبياء من مثل: «إسماعيل عليه السلام أبو العرب المستعربة، التي تتحدر منها القبائل العدنانية»⁽³⁾. وفي هذا دلالة واضحة على شرف وعلو مكانة "الرسول الكريم"، وعراقة نسبه ونقاءه وصفاءه من سفاح الجاهلية.

هذه الشخصية إذن؛ هي بمثابة مرجعية دينية، أدرجت في المدونة بغرض الكشف عن الخلفية العقائدية التي تدين بها القبائل الهلالية، والمتمثلة في عقيدة الإسلام.

(1) التغريبة، ص 189 .

(2) ابن كثير، الفصول في السيرة الرسول ﷺ ، مؤسسة علوم القرآن، دمشق، سوريا، ط 3، 1983، ص 265.

(3) صفي الدين المباركفوري، الرحيق المختوم (بحث في السيرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام)، ص 18.

الفصل الأول: الشخصية الحكائية وأثرها التاريخي (دراسة في تغريبة بني هلال)

1-1-2- سيدنا الخضر عليه السلام:

شخصية إسلامية بارزة لها وزنها في القرآن الكريم « كان من أشرف بني إسرائيل»⁽¹⁾ ويذكر أنه من « أعلم الخلق بالكائن من الأمور»⁽²⁾ الدينية والأسرار الدنيوية، وقصته مع "موسى عليه السلام"، الذي طلب منه أن يعلمه الحكمة والعلم اللذان منحهما الله له لأعظم دليل على نبوته؛ حيث صور لنا القرآن الكريم مساندته لليتيم، واستجابته لنداء المستغيث.

لذلك تم الإستغاثة به من طرف "أبو زيد" في نص "التغريبة"؛ حيث قال: « إلهي وعزي وسندي ومولاي ورجاي، بجاه كل الأنبياء والمرسلين أن تغيثني من هذا اللعين بجاه سيدي الخضر عليه السلام، منجد الأيتام ومغيث كل من دعاه»⁽³⁾.

وهنا نجد "أبو زيد" وكأنه يستشرف لما سيحصل انطلاقا من معرفته المسبقة بالذي سيترتب عنه من خلال الاستجداد بسيدنا "الخضر عليه السلام".

وهذه الشخصية جاءت كمرجعية تاريخية دينية، لها أثر عميق في تكوين شخصية الإنسان العربي، بما فيه الهلالي، من خلال احتفاظه على قدر كبير من تاريخ الثقافة الإسلامية، بحكم المكانة التي يحتلها الأنبياء من هذه الأخيرة.

1-1-3 - آدم وحواء عليهما السلام:

يتجلى اسمهما بوضوح حينما نتكلم عن بداية دورة الخلق الإنساني؛ حيث كان "آدم عليه السلام" أول إنسان استخلفه الله على عرشه، ثم خلقت من ضلعه "حواء عليها السلام"، وقد سمح لهما الله لما كانا في الجنة « أن يأكلا ما شاءا أكله من كل ما فيها من ثمار،

(1) ابن كثير، قصص الأنبياء، تح: عبد الواحد مصطفى، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة، السعودية، ط3، 1988، ص520.

(2) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، تح: عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ج1(تاريخ الرسل والأنبياء)، (د ط)، 2012، ص 142.

(3) التغريبة، ص 132.

الفصل الأول: الشخصية الحكائية وأثرها التاريخي (دراسة في تغريبة بني هلال)

غير ثمر شجرة واحدة ابتلاء منه لهما بذلك»⁽¹⁾ فآتهما إبليس ووسوس لهما بالأكل منها حتى يخلدا كالملائكة فصننا إليه وفعلا ما نصحهما به⁽²⁾ فما كان من الله إلا أن عاقبه بإنزاله إلى الأرض، التي كانت له فيها ذريته فيما بعد على اختلافهم « دينا وأخلاقا وأعمالا وقصودا، وإرادة وأقوالا وأفعالا»⁽³⁾ على مر العصور والأزمان، ونجد إشارة إلى هذه النقطة في "التغريبة" على نحو قول "أبو زيد"⁽⁴⁾:

تقول عن شجرة طويلة فروعها آدم وحواء النيل منهم منزعي

فالشجرة التي أشار إليها "أبو زيد" تمثل امتدادا من سلالة البشرية التي ينصوي تحت لوائها. وتمثل كل من شخصيتي "آدم وحواء" مرجعية تاريخية دينية؛ حيث حاول من خلالها "أبو زيد" الكشف عن أصل النسل البشري الذي يعود لـ "آدم" ثم "حواء" عليهما السلام، وهذا يكشف على سعة اطلاع الهالبيين بأحوال الأمم الأخرى، من خلال تفقهم في الدين الإسلامي.

1-1-4- مريم العذراء وعيسى عليه السلام:

لهما مكانة مرموقة في القرآن الكريم، الذي احتفظ بالكثير من القصص المتضمنة لمعجزاتها التي منحها الله لهما أينما حلا؛ حيث كانت مريم عليها السلام عند اعتكافها ببيت المقدس يأتيها «الرزق في غير أوانه»⁽⁵⁾ ثم ولادتها بأمر من الله « لولد من غير ذكر (...). اسمه المسيح عيسى عليه السلام»⁽⁶⁾ الذي أيده الله بمعجزات عظيمة تثبت نبوته،

(1) الطبري، تاريخ الطبري، دار المعارف، مصر، ج 1 (تاريخ الرسل والملوك)، ط2، (د ت)، ص 106.

(2) ينظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 1 (تاريخ الرسل والأنبياء)، ص 32.

(3) ابن كثير، البداية والنهاية، البداية والنهاية، تح: حسان عبد المنان، بيت الأفكار الدولية، بيروت، لبنان، ج 1، ط4، 2004، ص 62.

(4) التغريبة، ص 121.

(5) ابن كثير، قصص الأنبياء، ص 649.

(6) المصدر نفسه، ص 662.

الفصل الأول: الشخصية الحكائية وأثرها التاريخي (دراسة في تغريبة بني هلال)

من مثل « تكليمه الناس في المهد، وتشكيله للطير من طين ونفخ الروح فيه بإذن الواحد الأحد (...) وتبرئته للأكمه (...) والأبرص (...) وإحيائه للموتى »⁽¹⁾

فقد كان هذا النبي يعكف على مساعد قومه من "بني إسرائيل" رغم الظلم، والمعاناة التي تلقاها من بعضهم هو ووالدته، وهو ما جعل الأسير "عمر" يستعطف "أبو زيد" بحق معجزاتهما، عله يعدل عن قتله نظرا لما يتصفان به من السماحة والحلم والصفح. وهذا يظهر في نص "التغريبة" كآتي⁽²⁾:

سألتك بعيسى ثم مريم تجيرنا واعتقنا نبقي لك الخيرات

أيضا يمكن ربط لفظة العتق الموجودة في البيت الشعري بالفضل الذي قدمه زكريا لابنة أخته مريم عليها السلام انطلاقا من العكوف على تعليمها ببيت المقدس، وما جلبه ذلك له من رزق؛ حيث استطاع أن ينجب يحيى عليه السلام بعد سنوات طوال فقد فيها كل أمل في الاستخلاف.

هاتان الشخصيتان التاريخيتين قدمتا كمرجعية دينية، في هذا المقطع بغرض الكشف عن معرفة الهالبيين بخلفيات الأنبياء والمرسلين الذين سبقوا زمن "الرسول ﷺ"، واطلاعهم على أحوالهم عن طريق "القرآن الكريم" الذي يعد نافذة حية على ما جرى من وقائع وحوادث مثلت نقاط انعطاف في حياة الأمم السالفة.

1-1-4- الملك عزرائيل عليه السلام:

أحد أهم الملائكة الذين ذكروا في القرآن الكريم، ويلقب ب"ملك الموت" وذلك في قوله تعالى:

﴿ قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ لَكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾⁽³⁾، ومهمة هذا الملك تكمن

في قبض أرواح الناس حين ينقضي أجلهم.

(1) التغريبة، ص 695.

(2) المصدر نفسه، ص 123.

(3) سورة السجدة/ الآية: (11).

الفصل الأول: الشخصية الحكائية وأثرها التاريخي (دراسة في تغريبة بني هلال)

وقد تم استحضار هذه الشخصية في النص من خلال المقطع السردي الموالي: « قال الزناتي: يا بواب من يقدر يشوف عزرائيل حتى يقبض روحه »⁽¹⁾ وأخذت هذه كمرجعية دينية، على شخصية "دياب بن غانم"، حين تحقق لـ "الزناتي" بأنه قاتله لا محالة. فهو يحمل كل الصفات التي تؤهله لأن يكون ندا له، بل ويكون جديرا بقبض روحه.

1-1-5- النبي سليمان عليه السلام:

شخصية تاريخية مهمة، لها رمزيتها في القرآن الكريم، « وهو نبي من بني إسرائيل، سأل الله أن يؤتیه مُلْكًا لا ينبغي لأحد من بعده، فاستجاب له وسخر له الإنس والشياطين، والطيور والريح (...) والجن »⁽²⁾ وقد تنوعت أعمال الصنف الأخير وتعددت فكانوا « يعملون له ما يشاء لا يتغيرون ولا يخرجون عن طاعته، ومن خرج منهم عن الأمر عذبه ونكل به »⁽³⁾ وقد تم من خلالهم استحضار عرش "بلقيس" من اليمن بأمر من "سليمان عليه السلام".

ويقال أنهم السبب في ضياع ملك سليمان لملكه للمرة الأولى⁽⁴⁾. وهذا ما استدعى من سليمان عليه السلام دعاء الله لتضليلهم على موته حتى « يعلم الإنسان أنهم لا يعلمون الغيب »⁽⁵⁾ وإن كانوا يدعون معرفتهم.

وتحضر هذه الشخصية في المدونة على نحو: « قول أبو زيد: والله أعلم أن هذا عفريت من عفاريت السيد سليمان »⁽⁶⁾ نلاحظ في هذا النص تقارب زوايا النظر بين هيئة عفاريت سليمان التي لها ميزة التخفي، وبين الشخصي المتخيلة في التغريبة؛ حيث نجده في المقطع السردي الموالي: « البردويل بن راشد (...) يلبس طاقية الإخفاء، ويقراً الطلاسم

(1) التغريبة، ص 210.

(2) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج1 (تاريخ الرسل والأنبياء)، ص 200.

(3) ابن كثير، قصص الأنبياء، ص 593.

(4) ينظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج1 (تاريخ الرسل والأنبياء)، ص 70.

(5) ابن كثير، قصص الأنبياء، ص 599.

(6) التغريبة، ص 166.

الفصل الأول: الشخصية الحكائية وأثرها التاريخي (دراسة في تغريبة بني هلال)

والبرهان، فما يعود أحد ينظره من الفرسان، وبهذا الشأن يقهر الأبطال والشجعان»⁽¹⁾. بالإضافة إلى أن كلا من "البردويل" و"عفاريت" موسى عليه السلام" يشتركان في اعتمادهما على السحر الذي يمكنهما من قهر خصومهم مهما كانوا. وتأتي شخصية "سليمان عليه السلام" كمرجعية دينية، تكشف لنا عن عالم غيبي مذكور في "القرآن الكريم".

1-1-6- النبي يوسف عليه السلام:

من أكثر الشخصيات المعروفة في القرآن الكريم، وكتاب التوراة وهو « يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم أفضل صلاة وأتم تسليم»⁽²⁾. وهي تظهر في النص المعالج على نحو⁽³⁾:

جيتم إلى مصر ابن يعقوب يوسف مررتم على نيل الصعيد مرارا

وهنا إشارة واضحة إلى قصة سفر سيدنا "يوسف عليه السلام" بعد المؤامرة التي دبرها له إخوته الإحدى عشر؛ حيث تجدر الإشارة إلى أنه كان في بادئ الأمر يقطن كباقي « آل يعقوب بأرض كنعان وهي القسم الأوسط من فلسطين الحالية»⁽⁴⁾ ولكن « الحسد ملأ قلوب قلوب إخوته وأعماها عند رؤيتهم لإيثار أبيهم له وجذبه عليه (...) فأضمرؤا له الشر»⁽⁵⁾ وكان عليهم أن يعدوا له « خطة ناجحة تخلصهم من أخيهم (...) فاتفقوا على إلقائه في الجب (...) وكان قريب من طرق القوافل المتجهة إلى مصر والمقبلة منها»⁽⁶⁾ ليتم إيجاده فيما بعد من طرف بعض المارة الذين « باعوه في مصر بثمن دون قيمته لخوفهم أن

(1) التغريبة، ص 161.

(2) محمد علي أبو العباس، يوسف عليه السلام بين مكر الإخوة وكيد النسوة، مكتبة الساعي، الرياض، السعودية، (د ط)، 1987، ص 17.

(3) التغريبة، ص 33.

(4) أحمد عز الدين عبد الله خلف الله، يوسف بن يعقوب عليهما السلام، مطبعة السعادة، القاهرة، مصر، ط1، 1978، ص، 37.

(5) محمد علي أبو العباس، يوسف عليه السلام بين مكر الإخوة وكيد النسوة، ص 22.

(6) أحمد عز الدين عبد الله خلف الله، يوسف بن يعقوب عليهما السلام، ص 53.

الفصل الأول: الشخصية الحكائية وأثرها التاريخي (دراسة في تغريبة بني هلال)

يدركهم أهلهم، ويعرفوه بينهم وينتزعونه منهم»⁽¹⁾ وكان الذي اشتراه هو "عزير مصر". ليتم استقراره فيها، التي لم يكن فيها بأحسن الأحوال في بادئ الأمر، إذ مر بالكثير من العقبات والمحن لتنتفح له فيما بعد أبواب الخير والنعمة؛ حيث يصبح فيها ذو جاه وسلطان.

وهذه القصة على ما تتضمنه من مدلولات عجيبة ومعاني عبر قيمة، بما في ذلك من وجوه الإبتلاء والمحن والعقبات التي تعرض لها "سيدنا يوسف عليه السلام"، كانت بمثابة مرجعية دينية تاريخية، عن منطقة لها أهميتها في مسار الهجرة الهلالية تتمثل في بلاد مصر هذا من جهة. ومن جهة أخرى نلاحظ رابطا خفيا يجمع بين ما مر به "النبى يوسف عليه السلام"، وبين ما قدر على الهلاليين من تهجير وظلم ونفي، في أثناء تنقلهم من بلد إلى بلد نحو "المغرب".

1-1-7- الإمام مالك بن أنس رضي الله عنهما:

صاحب المذهب المالكي، إحدى المذاهب الأربعة في الفقه الإسلامي، وهو «الإمام مالك بن أنس الأصبحي، المتوفي عام 179 هجرية، مدني المولد والنشأة، والحياة والممات، يماني الأصل والنسب»⁽²⁾ وقد عرف مذهبه وانتشر في مختلف البلاد العربية وبالأخص في «إفريقية من مصر إلى المغرب ثم للأندلس»⁽³⁾. لذا من الطبيعي أن نلاحظ تأثير الهلاليين به حين وصولهم للبلاد المغاربية؛ حيث توضح التغريبة جزءا من هذا التأثير في المقطع الموالي الذي جاء على لسان "السلطان حسن"⁽⁴⁾:

أنا ضد خصمي يا رياحي ومهتدي وأنا مذهبي ينبي عن الشيخ مالك

فقد استطاع هذا المقطع أن يطلعنا عن الخلفية الدينية، التي أضخى يدين بها الهلاليين

بعد استقرارهم بالمنطقة، نظرا لتأثرهم بالمذهب السائد فيها.

(1) محمد علي أبو العباس، يوسف عليه السلام بين مكر الإخوة وكيد النسوة، ص 33.

(2) عبد الرحمان أحمد حفظ، الإمام مالك بن أنس الأصبحي (حياته ودوره العلمي)، مجلة جامعة ناصر الدين، اليمن، ع3، يونيو 2014، ص 96.

(3) عبد الغني الدقر، مالك بن أنس إمام دار الهجرة، دار القلم، دمشق الشام، سوريا، ط 3، 1998، ص 278.

(4) التغريبة، ص 295.

الفصل الأول: الشخصية الحكائية وأثرها التاريخي (دراسة في تغريبة بني هلال)

كذلك نجد في النص إحالة إلى بعض المبادئ المعتمدة في هذا المذهب، والمتمثلة في الذود والدفاع عن العرض والشرف وعدم إستباحته، وهذا يتجسد في المقطع الموالي. قال "القاضي بدير"⁽¹⁾:

من ذا الذي يرسل إليك حليلته
أو ابنته أو ماله يا فاجر

وهنا يظهر تأثر "الهلاليين" العميق "بالمذهب المالكي"؛ إذ لم يكن عندهم مجرد شعار فحسب وإنما كان منهاجا معتمدا تم التقيد به كجزء من الشريعة الإسلامية، فور وصولهم للأراضي المغاربية.

1-1-8- جعفر بن أبي طالب رضي الله عنهما:

له أهمية في تاريخ الأمة الإسلامية، كانت حياته مزامنة لفترة "الرسول ﷺ"، وهو «جعفر بن عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم بن قصي القرشي الهاشمي، ابن عم "الرسول ﷺ"، وأخو بن أبي طالب لأبويه»⁽²⁾ وقد لقب بعدة ألقاب ومناقب، كانت بمثابة أوسمة شرف فاز بها رضوان الله عليه، أعظمها وأهمها تمثل في «ذو الجناحين، طيار الجنة (...)» وهي عبارة عن صفة ملكية، وقوة روحانية أعطيتها جعفر كما أعطيتها الملائكة»⁽³⁾ فكان أعظم عطاء وأنبل فوز ظفر به، وربما يعود هذا إلى اتصافه بصفات خلقية عالية كالكرم والجود، كان لها عظيم الأثر في تكوين شخصيته، فقد كان "جعفر رضي الله عنه" «كريما على المساكين (...) يحبهم ويحبونه (...)» إذ لم يكن يتردد في بذل كل ما لديه في سبيل إسعادهم مما أكسبه لقب أبي المساكين»⁽⁴⁾. نظرا لكثرة كرمه عليهم.

(1) التغريبة، ص 100.

(2) فارس مشير، الإمام جعفر بن أبي طالب وآله رضي الله عنهم، مكتبة الكويت الدولية، الكويت، ط 1، 2011، ص 13.

(3) المرجع نفسه، ص 23.

(4) المرجع نفسه، ص 25.

الفصل الأول: الشخصية الحكائية وأثرها التاريخي (دراسة في تغريبة بني هلال)

وقد جاء استحضار هذه الشخصية في المدونة في إطار الحديث عن هذا الجانب بالذات. وهذا ما يظهر في المقطع السردي: « كان في الجود والكرم أسخى من جعفر»⁽¹⁾ وبالنظر إلى هذه المقارنة المعقودة بين "الماضي بن مقرب" و "جعفر بن أبي طالب"، سنجد أن هذا الأخير قد أخذ كمرجعية دينية، تصل العرب الهلاليين بأسلافهم الأوائل. وإن وصف التفوق في الكرم على "جعفر بن أبي طالب رضي الله عنهما" لأعظم مفخرة بالنسبة إليهم.

1-2- شخصيات ذات مرجعية إجتماعية (Caractères avec

:référence sociale)

تختلف عن سابقتها وهي التي يمكن أن « نلاحظها جميعا، ونعرفها جيدا في الحياة العادية وتتحدد أبعادها الإجتماعية من حيث؛ عملها والطبقة التي إليها، والبيئة التي أفرزتها »⁽²⁾؛ لذا فهي مرآة عاكسة للمجتمع الذي ظهرت فيه، لتحدد ملامحه ونمط معيشتها.

والشخصيات ذات المرجعية الاجتماعية، التي نجدها في المدونة المدروسة متعددة ومتنوعة منها: وجود عبارات: (السلطان، الفارس، الأمير، القاضي...) ونلاحظها في المقطع السردي على نحو: « قصدوا مضرب السلطان حسن بن سرحان (...) وكان عنده جماعة من السادات الأماجيد، والفرسان الصناديد، منهم البطل الهمام، وليث الآجام الذي شاع ذكره بين الآنام، وفاق أقرانه بطعن الرمح، وطعن الرمح وضرب الحسام، أبو زيد فارس الصدام، والأمير دياب بن غانم البطل المقاوم، والقاضي بدير بن فايد السيد الماجد »⁽³⁾، ويكشف لنا المقطع بعض الألقاب الإجتماعية، التي لها وزن في معسكر الهلاليين فهم من أشرف القبيلة وأعمدها.

(1) التغريبة ص 27.

(2) عبد الخالق نادر أحمد، الشخصية الروائية بين "أحمد باكثير" و "تجيب الكيلاني"، ص 52.

(3) التغريبة، ص 7.

الفصل الأول: الشخصية الحكائية وأثرها التاريخي (دراسة في تغريبة بني هلال)

ونجد في المقطع الموالي: « أمر السائس أن يأخذه إلى الاصطبل، ويختار له جواد من أطايب الأفراس»⁽¹⁾ فالسائس والحصان لفظتان متلازمتان تاريخياً؛ إذ بينهما علاقة وثيقة فالسائس هو من « يقوم على شؤون الخيل وتغذيتها وتدريبها»⁽²⁾، وهي كلمة عربية في الأساس؛ لذا ارتبط وجودها أكثر بالخيال العربي الأصيل.

وأيضاً نجد في مقطع آخر « حمل "الأمير محمود بن الأمير دياب"، وخلص أبيه من ساحة المجال، وبقي في معركة القتال إلى قرب الزوال، فرجع إلى عند أباه وسأله عما جرى عليه فأجاب: قد استحضرننا الحكيم الهندي، وأعطانا شربة تمر هندي، واليوم الجرح خفيف بعون الإله اللطيف»⁽³⁾ فمما لا شك فيه أن الطب الهندي من أشهر أنواع التطبيب اليدوي بالعالم، وفي قدرته السحرية حكايات عجيبة وغريبة؛ لذا لجأت "التغريبة" لاستخدام جانب منه، من خلال شخصية الحكيم الهندي، الذي شفي بتمته "الأمير دياب" بعون الله عزوجل.

1-3-1 - شخصيات ذات مرجعية ثقافية (Personnage Reférentielle)

:Culturelle)

هذه الشخصيات تمثل معياراً مهماً في قياس مقدار المخزون المعرفي لمجتمع ما؛ خاصة فيما يتعلق بالجانب الأدبي. ويتجلى ظهورها في المدونة كآلاتي:

1-3-1-1 - عنتر بن شداد:

شهرته واسعة عند العرب، فهو من أبرز شعرائها الجاهليين، لا سيما منهم أصحاب المعلقات ويجمع النسابون إلى أنه ينتسب إلى قبيلة «عبس»، إحدى قبائل مضر، وكانت هذه

(1) التغريبة، ص 141.

(2) سند بن مطلق السبيعي، الخيل معقود في نواصيها الخيل، مكتبة العنيكان، الرياض، السعودية، ط1، 2004، ص 121.

(3) التغريبة، ص 249.

الفصل الأول: الشخصية الحكائية وأثرها التاريخي (دراسة في تغريبة بني هلال)

القبيلة في سالفات الأيام تسكن نجد»⁽¹⁾ وقد ضرب به المثل في الفروسية والشجاعة فكان « فارس الطراد الضارب بالسيوف الحداد، والطاعن بالرماح المداد»⁽²⁾ في الحروب الشداد.

وقد أدرجت هذه الشخصية في هذا الإطار، مثلما هو موضح في المقطع السردى: «الدبيسي بن مزيد (...) كان يفتخر بنفسه على أبناء جنسه، ويفضل ذاته على جميع الفرسان في ساحة الميدان، ويقول إنه إذا ركب الجواد لا يوجد من يقاومه في الحرب والطراد، من الفرسان الشداد، ولو كان أبو الفوارس عنتر بن شداد»⁽³⁾ وللاستدلال على شجاعة "الدبيسي" وقوته وبسالته في قهر أعدائه.

استحضرت شخصية هذا البطل الذي « اعترف له خصومه وأعداؤه بأنه البطل الذي لا يعرف الخوف ولا الموت»⁽⁴⁾ ولكن هذا لم يكن وليد الصدفة، بل نتيجة لشعوره بالسوء حيال « سواد لونه الذي ورثه عن أمه »⁽⁵⁾ فضل يعمل جاهدا لتجاوز هذا العيب، وكان السبيل إلى ذلك إظهار فروسيته وبطولته التي لا يخصصها دوما في خدمة قبيلته، بل قد يجعلها في خدمة غيرها، إذا اضطرت الأمور لذلك، وهو ما يفسره الخلاف الذي حصل بين عنتر وقبيلته من أجل إبل أخذها من حليف لهم، وأبى أن يردها عليهم فرحل عنهم، ولما وقع صراع بين قبيلته، ومن هو مجاورهم شارك بجانب حلفائه الذين هم بمحاذاته، ليكون النصر في النهاية من نصيبهم⁽⁶⁾.

فجاءت هذه الشخصية بكل ما تحمله من معاني كمرجعية تاريخية ثقافية لـ "الأمير دياب بن غانم" وهو ما نلاحظه في النص المدروس من خلال قوله⁽⁷⁾:

(1) الزوزني، شرح المعلقات العشر، منشورات دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1983، ص227.

(2) أنيس وكمال بكداش، كتاب عنتر بن شداد، المطبعة الأدبية، بيروت، لبنان، ج 1، (د ط)، 1908، ص3.

(3) التغريبة، ص 38.

(4) الزوزني، شرح المعلقات العشر، ص 227.

(5) المصدر نفسه، ص 227.

(6) ينظر: محمد السعيد مولوي، ديوان عنتر بن شداد، المكتب الإسلامي، دمشق، سوريا، ط 1، 1964، ص 41، 42.

(7) التغريبة، ص 306.

الفصل الأول: الشخصية الحكائية وأثرها التاريخي (دراسة في تغريبة بني هلال)

أعرف فرسان الحرب جميعهم
وعيب الفتى للناس ظاهرا
خبيرا بشدات الزمان عنيف
ولو كان أصله جيدا ومنيف
ولو كان عنتره عبس في حومة الوغى
ولو كان مقري الوحش أمير مخبف
من كان في قومه ويرحل لغيرهم
فذاك مجنون وعقله خسيف
فذهاب "دياب" إلى بلاد الحبشة بعد قتله للأمير حسن وانقطاعه عن قومه تقربنا
من الصورة التي نراها عند "عنتره" مع قومه.

1-3-2- حاتم الطائي:

شخصية مهمة في تاريخ الأمة العربية، في الفترة الجاهلية وهو « حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج بن امرئ القيس بن عدي بن أخرج بن أبي أخزم (...)» ويعود نسبه إلى قبيلة بني طيء⁽¹⁾ التي كان أميرها يذكر من « شعراء العرب، وكان جواد يشبه شعره جوده، ويصدق قوله فعله (...) فكان إذا أهل الشهر الأصم - وهو رجب - الذي كانت مضر تعظمه في الجاهلية، ينحر في كل يوم عشر من الإبل، فأطعم الناس واجتمعوا إليه »⁽²⁾ وقد تم التطرق إلى هذه النقطة من خلال المقطع السردى على نحو: « كان في الجود والمكارم أسخى من (...) حاتم »⁽³⁾ ومحاولة الربط بين شخصية "الماضي بن مقرب" وشخصية "حاتم الطائي الذي يمثل مرجعية ثقافية جديرة بالإهتمام، وهو عودة للأصالة العربية التي تجعل من الكرم تاجا على رؤوس العقلاء من العرب في تلك الفترة التي سبقت الإسلام، وهي من أبرز الأمور التي احتفظ بها الهلاليون طوال الفترة الزمنية التي تفصلهم عن هجرتهم و"الماضي بن مقرب" واحد من هؤلاء الذين شهد لهم التاريخ بذلك.

(1) حاتم الطائي، الديوان، شرح: أبي صالح يحيى بن مدرك الطائي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1994، ص 74.

(2) المصدر نفسه، ص 13.

(3) النغريبة، ص 26.

الفصل الأول: الشخصية الحكائية وأثرها التاريخي (دراسة في تغريبة بني هلال)

1-3-3- الخنساء:

شخصية مهمة في تاريخ الأدب العربي لا سيما منه الشعر وهي « الخنساء بنت عمرو بن الشريد بن رياح، بن عصية بن خفاف بن امرئ القيس، بن بهثة بن سليم»⁽¹⁾ كان حزنها عميقا على فقد أخويها لا سيما "صخرا" نظمت لعزائه أشعارا طويلة؛ وربما يعود ذلك للتخلف عن أخذ الثأر له من طرف قومه.

وتحضر هذه الشخصية في النص المدروس على النحو الآتي: « أقبلت أخته الجازية وهي تصيح من قلب جريح، وتبكي بدموع غزيرة على مصابها، وتنتف شعرها، وتمزق ثيابها، وتضرب رأسها بالحصاء، وهي تتن إناء الخنساء، وتندب أخاها الأمير حسن »⁽²⁾ فشدّة حزن "الجازية" هنا، تذكرنا بما فعلته الخنساء في رثاء أخيها "صخر"؛ حيث «ظلت تبكيه، وأبت أن تنزع ثوب الحداد طول تلك السنين»⁽³⁾ وقد حاولت "التغريبة" أن تجعل من هذه الشخصية مرجعية ثقافية "للجازية أخت حسن"، من خلال عقد المقارنات التي وضعتها في طبيعة رثاء كليهما لأخويهما.

1-3-4- عبد الرحمان بن خلدون:

وهو شخصية تاريخية بارزة لها وزنها عند العرب، استطاع أن ينقش اسمه ويحفه بعمق في ذاكرة الفكر العربي الإسلامي، لا سيما فيما يتعلق بعلمي التاريخ والإجتماع. واسمه الكامل « عبد الرحمان بن خلدون الحضرمي ولد في تونس سنة 732م- 133هـ، ينحدر من أصل أندلسي إشبيلي»⁽⁴⁾

وقد سجلت هذه الشخصية حضورها في المقطع السردي الآتي: « كان هذا الرجل من أعلى الناس، وهو الذي ذكره العالم النحرير، والمؤرخ الشهير، صاحب العلوم والفنون

(1) الأصفهاني، الأغاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ج15، ط1، 1994، ص 55.

(2) التغريبة، ص 301.

(3) سليم بن ساعد السلمي، الصورة الفنية في شعر الخنساء، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، إشراف: عبد الرؤوف خليل، جامعة مؤتة، عمان، الأردن، 2009، ص5.

(4) ابن خلدون، التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ج1، ط1، 1979، ص3.

الفصل الأول: الشخصية الحكائية وأثرها التاريخي (دراسة في تغريبة بني هلال)

(عبد الرحمان بن خلدون) في كتابه (العبر وديوان المبتدأ والخبر)«⁽¹⁾ وفي ذكر هذا المصنف التاريخي المهم لدليل قاطع على مكانته وقيمه من جهة، والإعتراف بمصداقيته ونزاهته في نقل المعلومة، لذا تم الإستشهاد به على صحة الكلام عن "الماضي بن مقرب". فهو يعد موسوعة تاريخية قيمة، لا يضم أخبار العرب فحسب بل حتى الأمم الأخرى ممن عاصروه، وهذا يتجلى من خلال عنوانه الذي جاء موسوما بـ : (ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر وممن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر) لذا عد مرجعية تاريخية ثقافية عالمية بامتياز.

1-4-4- شخصيات ذات مرجعية سياسية (Personnalité

:politique)

يعتبر هذا النوع من الشخصيات « المحرك الأول لمسيرة البشر، في أي مجتمع، لأنها هي التي تحدد أصول الحكم، وتنظيم شؤون الدولة»⁽²⁾ وتسيير مصالح الشعب، وقد تنتمي هذه الشخصية إلى تيار أو حزب معين، يكون إما خادما لقومه، أو ظالما مستبدا ومتسلطا في حكمه أحيانا أخرى. ومن تلك الشخصيات المذكورة في المدونة نذكر:

1-4-1- كليب بن أبي ربيعة:

شخصية لها وزنها في التاريخ العربي القديم، وهو « وائل بن أبي ربيعة بن الحارث، بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب »⁽³⁾ وكان أميرها، ويقال أنه في أيام حكمه كان متجبرا وباغيا « على قومه حتى بلغ من قومه أنه كان يحمي مواقع السحاب، فلا يرعى حماه»⁽⁴⁾.

(1) التغريبة، ص 26.

(2) طه وادي، الرواية السياسية، الشركة المصرية للنشر-لونجمان-، القاهرة، مصر، (د ط)، (د ت)، ص 6.

(3) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج1(تاريخ الرسل والأنبياء)، ص 472.

(4) المصدر نفسه، ج1(تاريخ الرسل والأنبياء)، ص 473.

الفصل الأول: الشخصية الحكائية وأثرها التاريخي (دراسة في تغريبة بني هلال)

وقد تم الإستشهاد بهذه الشخصية في هذا الإطار، وأخذها كمرجعية سياسية، لأنها تبدو شبيهة إلى حد ما ما بشخصية "بريقع بن الحسن" الذي تسلط هو الآخر على قومه في حكمه، بعد أن ضربت سيطرته على "بلاد المغرب".

وهذا الحديث نجده في نص "التغريبة" على نحو: « قول نصر الدين بريقع: إلى أين يا كليب العرب؟»⁽¹⁾ وكان هذه الشخصية عادت بعد غيابها، وتقمصت شخصية أخرى متخيلة، تمثلت في "بريقع" من خلال اشتراكهما معا في طبيعة الحكم، الذي أساسه الجور والظلم والاستبداد.

1-4-2- جساس بن مرة:

شخصية بارزة لعبت دورها في حرب البسوس بين "بكر وتغلب"، بل وكانت الفتيل الذي أشعل نار الفتنة؛ حيث كان "جساس بن مرة" « أخو جلييلة بنت مرة بن شيبان بن ثعلبة، زوجة كليب (وائل بن ربيعة)»⁽²⁾ وقد قام "جساس" بقتل "كليب" بعد أن قام الأخير بقتل ناقة "الجرمي" التي دخلت إقليمه⁽³⁾ فكان ذلك كفيلا بإفاضة كأس الإنتقام بين القبيلتين اللتان دارت بينهما حروبا طويلة دامت 40 سنة.

ويمكن القول أن؛ الحديث عن هذه الشخصية التاريخية جاء مطابقا لما نجده في المقطع السردي الموالي: « الآن لقد أصبحنا عيرة عند العرب الكرام، الذين يحفظون الزمام، فسوف يصير بنا كما صار مع جساس بن مرة، والأمير كليب»⁽⁴⁾؛ حيث يمكن قراءة ذلك بفضاة العلاقة المتوترة التي كانت بين "بني زغبة" و"بني دريد"، بعد قتل "الأمير دياب" لصهره "الأمير حسن" نظرا للموقع الذي يحتله كل واحد منهم في مجتمعه.

(1) التغريبة، ص 335.

(2) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج1 (تاريخ الرسل والأنبياء)، ص 473.

(3) ينظر: حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي (الأدب القديم)، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، 1986، ص 190.

(4) التغريبة، ص 299، 300.

الفصل الأول: الشخصية الحكائية وأثرها التاريخي (دراسة في تغريبة بني هلال)

وهنا تؤخذ شخصيتي "جساس" و"كليب" كمرجعيتين سياسيتين، لكل من "الأمير حسن" و"الأمير دياب".

1-4-3- نمرود بن كنعان:

خصص له نصيب من الذكر في قصة "إبراهيم الخليل عليه السلام"؛ حيث يمثل « الحاكم على أرض الكنعانيين - وهي بلاد بيت المقدس - في ذلك الزمان»⁽¹⁾ بل وامتد حكمه إلى أبعد من ذلك، فهو آخر أحد الملوك الذين ملكوا مشارق الأرض ومغاربها، واسمه « النمرود بن كنعان بن كوش بن سام، بن نوح (...) وكان قد طغا وتجبر، وبغا وأثر الحياة الدنيا»⁽²⁾، كما أنه قامت بينه وبين النبي "إبراهيم عليه السلام" منافرات طويلة حول خلق الله للكون ودعوته له ولقومه إلى ترك الأصنام التي يعبدونها⁽³⁾. فحاول « النمرود القضاء عليه بالحرق بالنار، لكن محاولاته باءت بالفشل»⁽⁴⁾.

وقد استمر "سيدنا إبراهيم عليه السلام" في دعوته، لكن دون جدوى حتى أنزل الله عقابه عسيرا؛ حيث أطلق عليه هو وقومه « ذبابا من البعوض (...) وسلطها الله عليهم، فأكلت لحومهم ودمائهم وتركهم عظاما بالية، ودخلت واحدة منهم في منخر الملك النمرود»⁽⁵⁾ واستمرت لفترة طويلة حتى أهلكه الله عز وجل.

وقد حاولت المدونة أن تقارب بين هذه الشخصية، وبين "الخزاعي" وزير "الملك بدريس"، الذي كان هو الآخر ظالما متجبرا في حكمه، فكان موته محققا على يد "الأمير دياب". وهذا يتضح لنا في المقطع السردي الموالي، « برز الخزاعي إلى ساحة الميدان، كأنه النمرود بن كنعان»⁽⁶⁾ وقد كانت هذه الشخصية بمثابة مرجعية سياسية، تكشف لنا طبيعة

(1) ابن كثير، قصص الأنبياء، ص 156.

(2) ابن كثير، البداية والنهاية، ص 99.

(3) ينظر: ابن كثير، قصص الأنبياء، ص 166.

(4) الطبري، تاريخ الطبري، ج1 (تاريخ الرسل والملوك)، ص 243.

(5) ابن كثير، البداية والنهاية، ص 100.

(6) التغريبة، ص 108.

الفصل الأول: الشخصية الحكائية وأثرها التاريخي (دراسة في تغريبة بني هلال)

الحكم الذي كان سائدا في تلك الفترة، وتؤكد على أن فعل الطغيان لا يزال حيا في قلوب بعض البشر، وإن تغيرت الأزمان واختلفت الأديان، وهذا ما نلاحظه في شخص "الخزاعي" و"النمرود بن كنعان".

2- شخصيات ذات مرجعية فكرية (Caractères de référence

intellectuelle)

وهي « شخصيات محيلة إلى أفكار أيديولوجية أو فلسفية أو إجتماعية»⁽¹⁾ لتعبر عن عقيدة ما، أو مذهب معين، وتبرز عادات ومعتقدات مجتمع بعينه في بيئة من البيئات. وتتجسد في المدونة على نحو:

2-1- عبد القادر الجيلاني:

لها أهميتها في تاريخ الفكر العربي، وهو « أبو عبد القادر بن أبي صالح جنكي دوسن موسى يرجع نسبه إلى الحسن بن علي رضي الله عنهما »⁽²⁾، ولد بمدينة « جلجان التي تقع في القسم الثاني من إيران، جنوب بحر القزوين حاليا»⁽³⁾ وقرب بغداد قديما، وقد كان من كبار « مشايخ الصوفية؛ حيث أسس الطريقة أو المدرسة القادرية»⁽⁴⁾، وقد تزامن وجوده مع تنقل الهالبيين في المشرق العربي قبل وصولهم للمغرب، وهو يمثل الخلفية أو المرجعية الفكرية التي أثرت في المجتمع العراقي؛ حيث كانت مدرسته التي أنشأها عبارة عن « مركز تدريس لتخريج الرجال الأكفاء الصالحين»⁽⁵⁾ الذين لم يقتصروا على المجيء من العراق العراق فحسب بل حتى من البلدان المجاورة لها والبعيدة عنها أيضا.

(1) آسيا جريوي، سيميائية الشخصية الحكائية في رواية "الذئب الأسود" لـ"حنا مينا"، ص 252.

(2) عبد الرزاق الكيلاني، الشيخ عبد القادر الجيلاني (الإمام الزاهد القدوة)، دار القلم، دمشق، سوريا، ط1، 1994، ص90.

(3) المرجع نفسه، ص 92.

(4) المرجع نفسه، ص 219.

(5) المرجع نفسه، ص 333.

الفصل الأول: الشخصية الحكائية وأثرها التاريخي (دراسة في تغريبة بني هلال)

وحضور هذه الشخصية يتجلى في المقطع الموالي، « قال أبو زيد: من بغداد، وإني من فقراء عبد القادر رب الفضائل والمآثر »⁽¹⁾ كما نستطيع أن نلاحظ قيمة أخرى تتمثل في سيطرة بعض الخرافات والبدع على عقل الإنسان العربي، التي نجدها واضحة في نص "تغريبة بني هلال" من خلال دعاء "أبو زيد للدببسي" بقوله: « الله يبليغك المرام بجاه مولاي عبد القادر، وباقي الأولياء العظام »⁽²⁾ وهذه هي اصبع الشرك بالأولياء الصالحين. ويمكن القول؛ أن هذه المرجعية الثقافية، لم تعد حكرا على "بلاد العراق" فحسب، بل امتدت إلى كامل أقطار الوطن العربي، رغم ما تشكله من خطر على كيان الفكر العربي. وقد تم استحضارها هنا بهدف الكشف عن ذلك الصراع الفكري، الذي كان قائما في القرن الخامس الهجري ببلاد العراق، بين مختلف الفرق الكلامية، والمذاهب الفقهية، وكانت الطريقة القادرية التي يقودها هذا الشيخ - عبد القادر الجيلاني - واحدة من هاته التكتلات المتصارعة.

3- شخصيات ذات مرجعية أسطورية (Caractères avec une

référencelégendaire)

هي التي تحيل إلى أسطورة ما، وتكون مقتبسة عادة من الخرافات التي نسجها المخيال الشعبي، الذي أنتجت من تفكيره وتصوره، لتعبر عن رؤيته وتصوره الخاص إزاء موقف معين، ويتجسد هذا النوع في النوع المدروس على نحو:

3-1 - غراب البين:

هذه التسمية دارت حولها الكثير من الأساطير والمعتقدات العربية، التي كانت أغلبها تشتمل منه، وتعتبره نذير شؤم ونحس، ولعل في قصة قتل قابيل لأخيه هابيل، وفي حكايته

(1) التغريبة، ص 54.

(2) المصدر نفسه، ص 54.

الفصل الأول: الشخصية الحكائية وأثرها التاريخي (دراسة في تغريبة بني هلال)

مع النبي "نوح عليه السلام" الذي غاب عنه لما وجهه ليكشف له موقع اليايسة⁽¹⁾، وأحاديث أخرى لسبب كافي لإطلاق هذه النظرة عليه.

وقد استخدم كمرجعية أسطورية في نص التغريبة على نحو: « حان عليهما الحين، وزعق فوق رأسيهما غراب البين»⁽²⁾ فهو طائر مشؤوم، ونذير للموت والخراب، ودليل على فراق الأحباب. وهو ما تخلفه تماما هاته الحروب، بما فيها الهلالية لذلك نجده بشكل متكرر فيها، وغالبا ما كان وجوده يمثل لموت أحد الخصمين في المعركة.

2-3- الغول:

تخيلت العرب الغول في صور متعددة، وجلها تبعث على الخوف والرعب، في نفسية الذين ينصتون لقصص هذا الكائن الغريب، والذي جسده المعتقدات العربية القديمة على أنه: « شخص عظيم الخلقة في صفة إنسان، وهو أسود اللون، وطويل القامة، وكأنه نخلة عظيمة، وله عينان كأنهما شعلتان من نار، وله أنياب مثل أنياب الخنازير، وله فم عظيم مثل: البئر، وله مشافر مثل: مشافر الجمال (...) وأظافر يديه مثل: مخالب السبع»⁽³⁾.

وقد جاء في نص "التغريبة" إشارة لبعض الصفات نلاحظها فيما يلي: « رأى البردويل مقتول وعلى الثرى مغلول، وعظم جثته كجثة الغول»⁽⁴⁾ فقد تقاربت صورتى البردويل والغول حتى أشرفت على التطابق، وذلك في تقدير حجميهما، وعد الغول مرجعية أسطورية للبردويل.

(1) ينظر: علي عبد العزيز علي أبو سنيينة، الغراب في الشعر الجاهلي، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، إشراف: إحسان الديك، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2012، ص 21، 28.

(2) التغريبة، ص 56.

(3) فاروق خورشيد، عالم الأدب الشعبي العجيب، ص 142.

(4) التغريبة، ص 173.

الفصل الأول: الشخصية الحكائية وأثرها التاريخي (دراسة في تغريبة بني هلال)

4- شخصيات ذات مرجعية مجازية (Caractères avec une

référence métaphorique)

يقصد بها أفعال بعض الشخصيات الحكائية، التي تضمن صفة من الصفات المكتسبة، تقدم في النص الخطابي على مواقع متباينة، وهي في الواقع تختلف بين المجتمعات بحسب طبيعة التفكير الإنساني السائد فيها، وقد تكون سلبية كالكرهية والغيرة ... أو إيجابية كالحب والتعاون ...

ومن بين الشخصيات المجازية التي وظفت في نص "تغريبة بني هلال" نذكر:

4-1- الحب (L'amour):

صفة إنسانية راقية، معناها « تجمع وتمركز عواطف الإنسان، وشعوره بميل وعطف عن شخص، وبإخلاص وثبات »⁽¹⁾ نحوه. وهنا لا بد من الإشارة إلى أن المقصود يكمن في معنى الحب في الإسلام؛ لأنه الأنسب للجانب التاريخي المعني بالدراسة، وهو متعدد الأبعاد؛ إذ يشمل حب الله وحب القرآن، وحب الأنبياء جميعاً، وحب الملائكة. في نص التغريبة نجد إشارات وتلميحات لهذا اللون من الحب؛ يتجلى في المقطع الموالي⁽²⁾:

قلت باسم الله أول ما ابتديت	إني بعون الله أنا معتادي
أنا أسألك ربي بموسى وعيسى	كذا بالنبي المختار ذي الأمجادي
فأرسل ملاكك يعتني بحراستي	واحفظني يارب من ذي عادي

فلولا حب "أبو زيد" لله وأنبيائه، لما طلب عونهم في تسيير أموره فهو على يقين تام بقدرته على إعانتة لما استعصى عليه.

(1) عمر رضا كحالة، الحب، مؤسسة الرسالة، دمشق، سوريا، ط1، 1978، ص 7.

(2) التغريبة، ص 170.

الفصل الأول: الشخصية الحكائية وأثرها التاريخي (دراسة في تغريبة بني هلال)

وفي المقطع السردى الآتي: « أمر بإحضار الحفارين والنحاتين، والمرخين والدهانين، وجميع أرباب الصنائع أن يبذلوا المجهود في تزيين تلك القبّة على قبر الزناتي، وأن يكتبوا عليها أسماء الله الحسنى»⁽¹⁾ والإجتهد في تدوين هذه الأسماء لبرهان قوي على عظمة مكانته ﷺ في قلب كل هلالى مثل كل عربى؛ فهذه قبل كل شىء ما هي إلا عادة اتبعتها العرب منذ مجئ الإسلام في تزيين مساجدهم.

4-2- الكراهية (La Haine):

خلق مذموم نهى عنه الإسلام، وهو يتضمن « موقف أو شعور أو اعتقاد، يعبر الفرد من خلاله عن الإزدراء اتجاه أفراد آخرين، أو تجاه جماعات، بناء على خصائص كل عنصر أو اللون أو الأصل القومى، أو الجنس، أو التوجه، أو العقيدة السياسية، أو الدينية»⁽²⁾

وهذا ما نلاحظه في المدونة بشكل واضح من كره اليهود للعرب - الذي بدأ منذ حقبة زمنية بعيدة، وهو مستمر إلى يومنا هذا- ولا بد من الإشارة إلى أن المقصود هنا هو حديث "الملك شمعون اليهودي" مع وزيره "أبو الجود" بشأن بني هلال وأمنيته في تحطيم معسكرهم، الذي يمثل نموذج حي عن هذا الكره، ويظهر هذا في قوله: « أنا مرادى أن أجمع العساكر، وأذهب إلى بني هلال، لأنهم لا بد أن يكونوا في حروب بين بعضهم البعض، وربما يفنوا بعضهم فمن الموافق أن نكون حاضرين، ونساعد الحزب القوي، ونملك نحن البلاد»⁽³⁾

وهنا نجد الملك يتوجس لضرب الهالبيين منتظرا الفرصة السانحة لذلك. وفي ذلك دلالة على قيمة الحقد اليهودي الموجه للدين الإسلامى؛ فهو يمثل هاجسا لهم منذ الأزل.

(1) التغريبة ، ص 234.

(2) جورج صدقة وآخرون، التحريض الدينى وخطاب الكراهية، دار ممارات، بيروت، لبنان، (د ط)، 2015، ص 10.

(3) التغريبة، ص 313.

4-3- الكرم (Générosité):

من أبرز الخصال المحمودة التي عرفها العرب قديما، واستمرت معهم بعد الإسلام؛ لذا لا نستغرب وجوده عند قبائل بني هلال وهو عبارة عن « عطاء مقصود به إكرام الضيف، وقضاء حاجته، وإيناس وحشته، وتبديد همه وكربه »⁽¹⁾

ويتجلى في النص المعالج بصور شتى منها، إكرام الشعراء من مثل: « اتفق أن جماعة من شعراء العربان، كانوا قد قصدوا بلاد نجد، ومدحوا السلطان حسن بن سرحان بالأشعار الحسان كما جرت العادة في ذلك الزمان، فأجازهم بالعطايا الجميلة »⁽²⁾. ومن المعروف أن تبجيل الشعراء وتقديرهم ورفع مكانتهم، عادة جاهلية امتد ظهورها حتى بعد مجئ الإسلام، وهذا يدل على أهمية وقيمة الشعر عند العرب؛ فهو ديوانهم الذي يحفظ أنسابهم، ومفاخرهم وأمجادهم، ونجد ذلك في المقطع السردى التالي: « في اليوم الثاني أولم السلطان حسن وليمة عظيمة، لها قدر وقيمة، ذبح فيها ألف راس من الأغنام، وحضر فيها مائة صنف من المدام، فكانت من أعظم الولائم، لم يسمع مثلها الأعراب والأعاجم »⁽³⁾

يشير هذا المقطع إلى سمة الكرم لم تفارق "الهالبيين"، رغم تغربهم عن أوطانهم -بلاد نجد-؛ فهو يحمل صورة حية عن البداوة العربية التي فطروا عليها، وكان نحر الغنم من أهم مظاهره، بما أنه كان مصدر معيشتهم.

تتبلور هذه الشخصيات بشكل متباين في نص "التغريبة"؛ إذ نلاحظ تواجدا مكثفا للشخصيات ذات المرجعية التاريخية الدينية، التي أخذت حصة الأسد على حساب غيرها، ولكن جميعها ساهمت في إسدال الستار على الخلفية التاريخية والفكرية، والأسطورية

(1) انتصار مهدي عبد الله، القيم الأخلاقية في الشعر العربي الجاهلي، بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها، إشراف: نور الدايم يوسف، جامعة الخرطوم، السودان، 2008، ص 91.

(2) التغريبة، ص 27.

(3) المصدر نفسه، ص 82.

الفصل الأول: الشخصية الحكائية وأثرها التاريخي (دراسة في تغريبة بني هلال)

والمجازية، للمجتمع العربي الإسلامي؛ حيث أطلعنا على جوانب مهمة من القرآن الكريم، وتاريخ العرب وتراثهم، وثقافتهم بعيون المجتمع الهلالي.

بعد دراسة واستبيان الأثر التاريخي، والكشف عن أهم الشخصيات التاريخية في المدونة المدروسة، ومدى مساهمتها في النص السردي للنص، وبعض الخوض باستعراض فئات الشخصيات عند "فيليب هامون" في إطار سيميائي، من خلال التطرق إلى قسم المرجعية بمختلف أشكاله (التاريخية، والفكرية، والأسطورية، والمجازية) مع تقصي الأثر التاريخي من كل شكل فيها، سنتطرق إلى دراسة البنية الزمكانية وأثرها التاريخي، في الجزء الثاني من هذه الدراسة.

الفصل الثاني:

"ثنائية الزمن والمكان والأثر التاريخي(دراسة في تغريبة بني هلال)"

أولاً: تجليات الزمن وأثره التاريخي

1-الزمن بين المفهوم اللغوي والاصطلاحي

1-1- المفهوم اللغوي

1-2- المفهوم الاصطلاحي

2- أنواع الزمن

2-1- الزمن الخارجي والأثر التاريخي

2-1-1- زمن الكتابة

2-1-2- زمن القراءة

2-1-3- الزمن التاريخي

2-2- الزمن الداخلي والأثر التاريخي

2-2-1- الاسترجاع

2-2-2- الاستباق

2-2-2-1- الاستباق الداخلي

2-2-2-2- الاستباق الخارجي

ثانياً: تجليات الأمكنة وأثرها التاريخي

1- المكان بين المفهوم اللغوي والاصطلاحي

1-1- المفهوم اللغوي

1-2- المفهوم الاصطلاحي

1-3- المكان التاريخي

2- الأماكن بين المفتوحة والمغلقة وأثرها التاريخي

الفصل الثاني: ثنائية الزمن والمكان والأثر التاريخي (دراسة في تغريبة بني هلال)

سنحاول في هذا الفصل، تقديم عرض مبسط لبعض الآليات الزمنية، بتناولها ودراستها على النص المعالج، وهي تتمثل الاسترجاع والاستباق بنوعيه الداخلي والخارجي. كما سنقوم برصد الأمكنة في النص ذاته. محاولين في ذلك استخلاص الأثر التاريخي لكل منهما.

أولاً: تجليات الزمن وأثره التاريخي:

يعتبر الزمن المحرك الأساسي لمسار الحياة الإنسانية؛ نظراً لما يحمله من بذور لاستمراريتها وتكريس لوجودها، لاسيما فيما يتعلق بميدان الأدب، فهو المؤطر لفنونه بعامته، والخطاب الحكائي بخاصة، لذلك صنف من أكثر المشكلات السردية أهمية؛ حيث لقي حفاوة كبيرة في حقل الدراسات النقدية، والأدبية الحديثة، فكان محل النقاش للعديد من الباحثين والدارسين، خصوصاً فيما يتعلق بضبط مفهومه، وقد تم التطرق لهذه النقطة بالذات في السياق الموالي.

1- الزمن بين المفهوم اللغوي والاصطلاحي:

1-1- المفهوم اللغوي:

ورد في (لسان العرب) "لابن منظور" أن: « الزَّمَنُ والزَّمانُ: اسمٌ لِقَلِيلِ الوَقْتِ وكَثِيرِهِ؛ وفي المحكم: الزَّمَنُ، والزَّمانُ العَصْرُ، والجمع: أَزْمَنٌ وأَزْمَانٌ وأزْمِنَةٌ (...)» ويقال: الزَّمانُ، وزَمانُ الرُّطْبِ والفَاكِهَةِ، وزَمانُ الحَرِّ والبرِّدِ، ويكون الزَّمَنُ شَهْرَيْنِ إلى سَنَةِ أَشْهُرٍ، والدَّهْرُ لا يَنْقَطِعُ»⁽¹⁾.

وجاء في معجم (مقاييس اللغة) "لابن فارس": «أن الزَّاءَ والميمَ والثَّوْنَ، أصلٌ واحد، يُدُلُّ على قَلِيلِ الوَقْتِ من الوَقْتِ، ومن ذلك الزَّمانِ، وهو الحِينُ قَلِيلُهُ وكَثِيرُهُ. يقال: زَمانٌ وزَمَنٌ، والجمَعُ أزمانٌ، وأزْمِنَةٌ»⁽²⁾.

(1) ابن منظور، لسان العرب، مادة (ز، م، ن)، ج13، ص199.

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، (د ط)، 1979، ص22.

الفصل الثاني: ثنائية الزمن والمكان والأثر التاريخي (دراسة في تغريبة بني هلال)

من خلال ماسبق، يتضح لنا أن الزمن في المفهوم اللغوي يحمل دلالة جوهرية بسيطة، فهو فترة أو مقدار من الوقت، يتراوح بين الطول والقصر، ويمكن تقسيمها إلى فترات. والزمن بهذا المفهوم، يبدو حاملا لدلالات ومعاني كثيرة لها ما يقابلها من معاني اصطلاحية. لذلك تم التطرق إليها على النحو الآتي:

1-2- المفهوم الاصطلاحي:

أن الباحث في ميدان الدراسات الزمنية يلحظ تضاربا وتباينا في المفاهيم المتعلقة بالمصطلح « فمقولة الزمن متعددة المجالات، ويعطيها كل مجال دلالة خاصة، ويتناولها بأدواته التي يصوغها في حقله الفكري »⁽¹⁾ لذلك؛ فهو مصطلح ضبابي لا يظهر للعيان من الوهلة الأولى، « ذلك الشبح المخوف الذي يقتفي آثارنا حيثما وضعنا الخطى »⁽²⁾، ذو طبيعة زئبقية يصعب الإمساك بها، ويمثل «روح الوجود الحقّة، ونسيها الداخلي؛ فهو مائل فينا بحركته اللامرئية، حين يكون ماضيا أو حاضرا أو مستقبلا، فهذه أزمنة يعيشها الإنسان وتشكل وجوده » دون أن يشعر بها لأنها؛ « حقيقة مجردة لا ندركها بصورة صريحة »⁽³⁾ فلا نستطيع لمسها؛ أي أنه محسوس لا ملموس، ومجرد لا مادي، مثله مثل الهواء الذي تتنفسه.

غير أنه بإمكاننا إدراك أثره من خلال عناصر الطبيعة والكون، وذلك في أوراق الربيع الخضراء، وأوراق الخريف الصفراء، وفي تعاقب الليل والنهار، وهذه كلها أزمنة مهمة

(1) سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي (الزمن، السرد، التبئير)، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط3، 1997، ص61.

(2) عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد)، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، (د ط)، 1998، ص171.

(3) مها حسين قسراوي، الزمن في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2004، ص13.

الفصل الثاني: ثنائية الزمن والمكان والأثر التاريخي (دراسة في تغريبة بني هلال)

في محطات حياتنا اليومية؛ حيث « يعد الزمن المحور الأساسي، المميز للنصوص الحكائية بشكل عام»⁽¹⁾ لذلك تطلب حضوره في أي عمل سردي.

في حين يرى "ميشال بوتور (Butor Michel)" أن الخطاب الروائي كعمل فني إبداعي تتخلله ثلاثة أزمنة. وقد أشار إلى ذلك بقوله: « ينبغي لنا تكريس ثلاثة أزمنة على الأقل: زمن المغامرة، وزمن الكتابة، وزمن القراءة، وكثيرا ما ينعكس زمن الكتابة على زمن المغامرة، بواسطة الكاتب»⁽²⁾ من خلال اختصاره للزمن الطبيعي في بضعة أسطر أو صفحات.

وتبدو رؤية "جيرار جنيت" (Génette Gérard) أكثر تطورا من سابقتها، حين حاول أن يقدم نظرة شاملة لمقولة الزمن، وذلك من خلال التمييز بين « زمن الشيء المروي، وزمن السرد»⁽³⁾، وهما عنده يعرفان « بزمن الحكيم، وزمن القصة»⁽⁴⁾.

2- أنواع الزمن: اتفق الباحثون والدارسون واجتمعوا على تحديدها، وإبرازها

من خلال اثنين هما كالاتي:

2-1- الزمن الخارجي (Le Temps Extern):

هو ذلك الزمن الذي يمشي على وتيرة واحدة إلى الأمام، دون الرجوع إلى الوراء، « كتدفق أحادي الاتجاه، وغير عكسي، شبيهه بشارع وحيد الاتجاه»⁽⁵⁾ بشكل متصل دون انقطاع أو اضطراب في حركته الدائمة، وهو « ما يتعارف عليه الجميع في الساعات

(1) سيزا أحمد قاسم، بناء الرواية (دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ)، مهرجان القراءة للجميع، عمان، الأردن، (نط)، 2004، ص38.

(2) ميشال بوتور، بحوث في الرواية الجديدة، تر: فريد أنطوس، منشورات عديدة، بيروت، لبنان، ط3، 1986، ص101.

(3) حسن بحرأوي، بنية الشكل الروائي (الفضاء، الزمن، الشخصية)، ص116.

(4) جيرار جنيت، خطاب الحكاية (بحث في المنهج)، تر: محمد معتصم وآخرون، الهيئة العامة للطباعة الأميركية، مصر، ط2، 1997، ص45.

(5) أحمد حمد النعيمي، إيقاع الزمن في الرواية العربية المعاصرة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، عمان، الأردن، ط1، 2004، ص23.

الفصل الثاني: ثنائية الزمن والمكان والأثر التاريخي (دراسة في تغريبة بني هلال)

والتقاويم»⁽¹⁾. طبقا لترتيبها الزمني بصفة منتظمة، فيقوم بتتبع مراحل حياتنا « فالإنسان يسيل مع سيلان الزمن، ويتحول ويتغير وتتراكم خبراته؛ حيث الماضي يشكل الحاضر، ويستشرف المستقبل »⁽²⁾ متحررا الدقة والتغير والتجدد.

وينقسم إلى: زمن القراءة، وزمن الكتابة، والزمن التاريخي، ويمكن تحديدهما كالآتي:

2-1-1- زمن الكتابة (Le temps Du L'écrivain):

وهي « عدد الساعات التي يستغرقها المؤلف في كتابة روايته»⁽³⁾، وهي لحظة يصعب تحديدها؛ حيث لا ندركها، ولا نجد أي قرائن ترشدنا إليها.

فنص "التغريبة" الذي نحن بصدد دراسته، وقعت أحداثه خلال القرن الخامس الهجري، وتمتد جذوره إلى زمن ما قبل الإسلام⁽⁴⁾، بينما كتابته كانت في العصر الحديث، بعد نصوص وروايات من أفواه القوالين والقصاص؛ لذلك يعتبر هذا النص حصيلة مجهودات كبيرة، استغرقت سنوات عديدة، بل وقرونا متعاقبة بين الأجيال والمجتمعات العربية، ممزوجة بين الواقعية التاريخية، والخيال الأسطوري.

2-1-2- زمن القراءة (Le temps Du Lecteur):

هو زمن متعلق بالمتلقي للنص السردي وهي « المدة الزمنية التي يستغرقها القارئ لإنجاز قراءة نص سردي، وهذه المدة تقصر أو تطول، تبعا لحجم النص، ونوع القراءة»⁽⁵⁾، القراءة»⁽⁵⁾، لتنتج لنا عدة قراءات للنص الواحد، تبعا لاختلاف الدارسين، والظروف المصاحبة لهم، وكذلك لتعدد الأزمنة، وتتنوع الأمكنة، وتعدد وجهات نظرهم، وكل حسب

(1) إيمان عبد دخیل، وعدنان حسين العوادي، الزمكان في روايات "جبرا إبراهيم جبرا"، مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية، ع4، مج16، 2010، ص939.

(2) مها حسين قسراوي، الزمن في الرواية العربية، ص29.

(3) سيزا أحمد قاسم، بناء الرواية (دراسة مقارنة في "ثلاثية نجيب محفوظ")، ص67.

(4) التغريبة، ص7.

(5) رابح الأطرش، مفهوم الزمن في الفكر والأدب، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة سطيف، الجزائر، ع9، مارس 2006، ص13.

الفصل الثاني: ثنائية الزمن والمكان والأثر التاريخي (دراسة في تغريبة بني هلال)

ثقافته، ومخزونه المعلوماتي. مما يخلق لنا تأويلات عديدة، ومختلفة للأثر الواحد، وكلها تصلح لأن تكون نقطة انطلاق أخرى لقراءة مخالفة على سابقتها.

ومن هنا فإن؛ هذا الزمن يتميز بالتنوع والتعدد، والتجدد والإستمرارية الدائمة. وهذه الخصائص تنطبق على موضوع دراستنا؛ حيث اختلفت القراءات، وتعددت المنظورات في نص "تغريبة بني هلال"، فكل طبق منهجه ودراسته، حسب تصوره ورؤيته الخاصة.

ومن تلك الدراسات نذكر على سبيل المثال لا الحصر:

- عبد الحميد يونس، في مؤلفه: الهلالية بين التاريخ والأدب الشعبي، سنة 1968.
- عزي بوخالفة، تغريبة بني هلال بين التاريخ والروايات الشفهية الهلالية الجزائرية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، عام 2003.

- عبد الحميد بوسماحة، في مؤلفه: رحلة بني هلال وخصائصها التاريخية والإجتماعية والإقتصادية، سنة 2008.

ويعد زمن قراءة "التغريبة" هو الزمن المعاصر والحالي 2019؛ حيث سنحاول تقديم قراءة ودراسة فنية تاريخية لهذا النص، من خلال إستخلاص الأثر التاريخي من مكونات السرد (الشخصية والزمن والمكان).

2-1-3- الزمن التاريخي (Le Temps Historique):

يعتبر هذا الزمن مكونا ضروريا لأي خطاب حكاوي، وهو يتعلق « بالفترة التاريخية التي تقع فيها »⁽¹⁾ القصة أو الحكاية؛ إذ يحيلنا فيه المؤلف إلى وقائع وأحداث تاريخية حصلت في الزمن الماضي، يستحضرها في قالب فني، ليعبر فيها عن قضاياها الفكرية والاجتماعية.

(1) فوزية لعيوس، وغازي الجابري، التحليل البنوي للرواية العربية، دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط3، 2011، ص176.

الفصل الثاني: ثنائية الزمن والمكان والأثر التاريخي (دراسة في تغريبة بني هلال)

ويتمظهر في العادة على شكل « صور مختلفة منها: استخدام الوقائع التاريخية، التي تعفي الفترة الزمنية التي اختارها المؤلف إطارا لروايته. معالم على الطريق يستطيع القارئ أن يتعرف عليها كوسيلة لعكس الواقع التاريخي، في النص التخيلي، وذا ما يسميه "رولان بارت" (Roland Barthes) (De Reel Effe) للإيهام بما هو حقيقي»⁽¹⁾، وكأن الكاتب هنا يكلف القارئ بمهمة البحث، عن طبيعة العالم الخارجي المحيط بالنص، في الفترة الزمنية التي تمت فيها كتابته.

كما يمثل الزمن التاريخي « اسقاط للخبرة البشرية على خط الزمن الطبيعي، وهو يمثل ذاكرة البشرية، ويخترن خبراتها، مدونة في نص له استقلاليته »⁽²⁾ في الخطاب التخيلي. ومن خلال ذلك المخزون؛ يمكن الكشف عن الأحداث والوقائع، التي أخذت حيزا هاما في تاريخ الحضارة الإنسانية لتصنف كمرجعية تاريخية للأجيال الصاعدة بعامة، كما أنها مرجعية تاريخية للخطاب الأدبي بخاصة.

ومما لا شك فيه أن هذا الزمن أبلغ الأزمنة الخارجية في عالم السرد أو الحكى؛ حيث يستفيد منه، ويجعل منه المنطلق لمسار أحداثه، فينتقي المؤلف واقعة تاريخية مهمة في حياة أمة من الأمم ويهرب بها إلى عالمه المتخيل، ليضفي عليها لمستته الخاصة، حتى تكوّن لديه نصا فنيا تبرز فيه براعة الأديب.⁽³⁾

ويتجلى الزمن التاريخي في مدونة "تغريبة بني هلال"، بعرض حقيقة تاريخية من تاريخ العرب تتمثل في بداية مسير هذه القبائل وهجرتهم من "نجد" مرورا بالشرق العربي، وصولا إلى غربه الذي يمثل منطقة المغرب ثم استقرارهم فيه.

(1) سيزا أحمد قاسم، بناء الرواية (دراسة مقارنة في "ثلاثية نجيب محفوظ")، ص72.

(2) المرجع نفسه، ص69.

(3) ينظر: ربيعة بدري، البنية السردية في رواية "خطوات في الإتجاه الآخر" لحفناوي زاغز، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الآداب واللغة العربية، إشراف: رحيمة شيتير، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2015، ص212.

الفصل الثاني: ثنائية الزمن والمكان والأثر التاريخي (دراسة في تغريبة بني هلال)

وهذه الفترة الزمنية تعود بنا إلى عهد الدولة الزييرية (الصنهاجية) بالمغرب. وتجسد هذه المدونة أهم الأحداث التي مروا بها، والمعارك التي خاضوها في طريقهم. والمتأمل لهذه الفترة الزمنية يمكنه أن يحدد البداية من الموطن الأصلي لهؤلاء العربان وهو "نجد". وهذا ما نجده في المدونة على نحو: « بلاد نجد كانت من أخصب بلاد العرب (...) وفيها كانت منازل بني هلال في سالف الأجيال »⁽¹⁾.

لتبدأ هجرتهم نحو المشرق قبل بلوغهم المغرب، والتي دامت مدة زمنية ليست بالقصيرة، فكانت أول محطة تستوقفنا هي مرورهم إلى بلاد "الطائف" بصفتها الأقرب إليهم، بالضبط "بوادي العمق" وهنا يظهر جليا في الخطاب الحكائي المدروس. على نحو: « كانوا يستترون بالنهار، ويقطعون الفلاة تحت ظلام الاعتكار، حتى وصلوا إلى بلاد العمق »⁽²⁾، ثم خروجهم من "شبه الجزيرة العربية" وتوجههم نحو "العراق"، إلى عند "الدبيسي بن مزيد"، وبالتحديد "قرية النيل" « حتى أشرفوا في اليوم العاشر على بلاد النير، وهي بلاد واسعة الجنبات، كثيرة المياه والنبات »⁽³⁾.

ويثبت لنا التاريخ وجود صراعات قوية بين "عرب بني هلال" و"الفرس" تنقلهم في المشرق، وهذا الحديث يأتي موازيا مع ما هو موجود في السرد على نحو: « ركبت الأعجام وتقدمت إلى قدام طالبة الحرب والصدام، فالتقتها بنو هلال، اقتتلت معها أشد قتال، وبلغت غاية مرغوبها ومقصودها »⁽⁴⁾.

كما كان لـ "بني هلال" أثر تاريخي بارز في تغيير تركيبة المجتمع العراقي؛ حيث سمح وجودهم بإضافة بعض القبائل التي مكثت واستقرت هناك، كـ "قبيلة خفاجة" ومنهم "الخفاجي

(1) التغريبة، ص7

(2) المصدر نفسه، ص15.

(3) المصدر نفسه، ص38

(4) المصدر نفسه ، ص63

الفصل الثاني: ثنائية الزمن والمكان والأثر التاريخي (دراسة في تغريبة بني هلال)

عامر" الذي كان يحكم على أجزاء من «بلاد العراق وتلك البراري والآفاق»⁽¹⁾ في فترة من الفترات.

وقد كان لـ"بني هلال" خطوة تاريخية "للشام" أيضا؛ حيث انتقلوا إليها أثناء صراعاتهم ومعاركهم التي خاضوها بالمشرق، وهذا ما يبرزه لنا الخطاب السردي التالي: «وجدوا في قطع الفلوات حتى أقبلوا على مدينة الشام»⁽²⁾.

ثم واصلوا رحلاتهم نحو «القدس الشريف، قاصدين غزة»⁽³⁾ ومن ثم إلى «وادي العريش»⁽⁴⁾ أين مكثوا هناك لأمد طويل، ليتم انتقالهم فيما بعد إلى "بلاد مصر" ثم استقرارهم في "بلاد الصعيد".

وهنا تأخذنا الأحداث التاريخية، للوقوف على سبب تاريخي بارز، عزز من إمكانية مرورهم لـ"بلاد المغرب"، يتمثل في الأزمة السياسية والاقتصادية، التي مرت بها "بلاد مصر" في عهد "الدولة الفاطمية". وفي النص السردى نجد إشارات واضحة عنها، من مثل: «اضمحل عنها عنها الحشيش والنبات، وعم البلا من جميع الجهات، ولم يعد شئ من المأكولات (...) واستمرت المجاعة سبع سنين»⁽⁵⁾، وقد تم أيضا التطرق إلى بعض الحوادث التاريخية التي صادفت الهالبيين عقب دخولهم "منطقة إفريقية"؛ حيث يمثل اجتياحهم «لمنطقة تونس» حديثا بارزا، لذلك كان من الطبيعي أن يوظف على مساحة نصية شاسعة.

(1) التغريبة، ص 24.

(2) المصدر نفسه، ص 138.

(3) المصدر نفسه، ص 155.

(4) المصدر نفسه، ص 161.

(5) المصدر نفسه، ص 196.

الفصل الثاني: ثنائية الزمن والمكان والأثر التاريخي (دراسة في تغريبة بني هلال)

ليكتمل تغلغلهم في باقي أقطار المغرب، وهنا يسلط النص الضوء على بعض الأماكن التاريخية التي تثبت عنهم مرورها؛ حيث « ساروا إلى قابس (...) ثم قصدوا سورت»⁽¹⁾. كما « ساروا إلى منطقة مغورة»⁽²⁾ وغيرها من المناطق المغربية، بل وقد امتد وجودهم التاريخي ليصل لتخوم الأندلس، أين حاربوا مع "العرب" ضد "الإفرنج". وفي المدونة إشارات تاريخية لمرورهم على هذه الأراضي، ويظهر ذلك في السرد من خلال: « وطاعت لهم سكان الأندلس»⁽³⁾.

وقد أشارت "التغريبة" إلى بعض الخصومات، التي حدثت بينهم تاريخياً، وإن كان ذكرها قد جاء في قالب فني مفعم بالخيال؛ حيث تجسد هذا في حديث « الملك "شمعون" ملك الحبشة لوزيره "أبو الجود" الذي يقول فيه: مرادي أن أجمع العساكر وأذهب إلى "بني هلال". لأنهم لا بد أن يكونوا في حروب مع بعضهم البعض، وربما يقتل بعضهم البعض»⁽⁴⁾.

والتاريخ يثبت تشنتهم نتيجة افتقارهم إلى الوحدة، وهو ما بدد جهودهم، وجعلهم عرضة للاستغلال من قبل أمراء الشمال الإفريقي لأغراضهم الخاصة.

2-2- الزمن الداخلي (Tenps Intene):

هذا الزمن يرتبط في الواقع ببنية النص الداخلية، ويتعلق « بالفترة التاريخية التي تجري فيه الرواية، وكذا ديمومة النص الروائي، وترتيب الأحداث داخل الخطاب»⁽⁵⁾، فكل خطاب سردي مهما كانت طبيعته، لا يمكنه أن يؤسس بعيداً عن هذا الزمن، الذي بنى بدوره

(1) التغريبة، ص7.

(2) المصدر نفسه، ص231.

(3) المصدر نفسه، ص263.

(4) المصدر نفسه، ص313.

(5) سيزا أحمد قاسم، بناء الرواية (دراسة مقارنة في "ثلاثية نجيب محفوظ")، ص26.

الفصل الثاني: ثنائية الزمن والمكان والأثر التاريخي (دراسة في تغريبة بني هلال)

على وجود زمنين، هما: (زمن القصة) و(زمن الخطاب). غير أننا سنكتفي في هذه الدراسة بالتطرق إلى زمن الخطاب.

- زمن الخطاب (Tenps De Nartion) :

يمثل الزمن الثاني للزمن الداخلي، ولكن يخالفه؛ إذ يمكن أن تقع فيه أحداث كثيرة دفعة واحدة ويحق للسارد هنا التلاعب بالزمن عبر ولوجه للعالم المتخيل، بغية تحقيق أغراض جمالية وفنية تخدم نضه، وهو ببساطة « الوقت الذي يستغرقه عرض المواقف والوقائع كنعويض لزمن القصة»⁽¹⁾؛ حيث يعكس «التتابع المنطقي للأحداث»⁽²⁾ الذي يتطلبه ذلك الزمن وقد حاول "جيرار جنيت" أن يدرس العلاقة التي تربط كليهما، وقام يؤطرها إلى قوانين تتدرج تحتها جماعة من الآليات والتقنيات الزمنية⁽³⁾. سنكتفي بتطبيق البعض منها في دراستنا لهذه المدونة.

- المفارقة الزمنية (Anachrony) :

إن أول ما يتبادر إلى الذهن فور سماع مصطلح المفارقة الزمنية، وهو تلك اللعبة التي يعتمد إليها السارد، من أجل البناء المحكم للعمل الحكائي من الناحية الزمنية، وذلك من خلال خطية الزمن، وبعثرة الحكاية، لا سيما تلك النقطة التي تنتشعب فيها الأزمنة وتتداخل، فيجد نفسه مضطرا إما بعودة ارتدادية إلى الخلف، من الحاضر إلى الماضي وإما بقفزة نوعية إلى الأمام نحو المستقبل. وهذا ما يؤدي إلى كسر الترتيب المنطقي للزمن، والوصول إلى مفارقة بين زمن الخطاب، وزمن القصة.

(1) جيرالند برنس، قاموس السرديات، تر: عابد خزندار، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، ط1، 2003، ص78.

(2) حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي (الفضاء، الزمن، الشخصية)، ص115.

(3) ينظر: الشريف حبيبة، بنية النص الروائي (دراسة في روايات "تجيب الكيلاني")، عالم الكتب الحديث، اربد، الأردن، ط1، 2010، ص48.

الفصل الثاني: ثنائية الزمن والمكان والأثر التاريخي (دراسة في تغريبة بني هلال)

وقد تعرض "جيرار جنيت" لهذا المصطلح، بقوله: « هي دراسة الترتيب الزمني لحكاية ما بمقارنة ترتيب الأحداث أو المقاطع الزمنية في الخطاب السردي، بنظام تتابع هذه الأحداث أو المقاطع الزمنية نفسها في القصة »⁽¹⁾.

وبهذا؛ فهي تمنح للزمن نمطية حدائية تساهم إثارة القارئ ولفت انتباهه، وتحدد معالم هذه الآلية الزمنية، مع قيامها على وظيفتين بارزتين، هما:

2-2-1- الاسترجاع (Analopsie):

يشكل أحد أهم التقنيات الزمنية، المعتمدة في النص السردي على العموم. وهو في أبسط تعاريفه: « كل عودة للماضي، تشكل بالنسبة للسرد استذكارا يقوم لماضيه الخاص، تحيلنا من خلاله إلى أحداث سابقة، عن النقطة التي وصلتها القصة »⁽²⁾.

تساهم هذه التقنية بشكل كبير في « سد الفجوات التي يخلقها السرد وراءه، سواء بإعطائنا معلومات سوابق شخصية جديدة، وخلق عالم القصة، أو باطلاعنا على حاضر شخصية اختفت على مسرح الأحداث، ثم عادت للظهور من جديد »⁽³⁾، وهو بذلك ينظم سير الوقائع والأحداث.

- أنواعه:

ينقسم الاسترجاع حسب العلاقة التي تجمع الحدث السردي الماضي بالحاضر، وبالاعتماد على رؤية الناقد الفرنسي "جيرار جنيت" التي يقسمها لثلاثة أقسام⁽⁴⁾:

- الاسترجاعات الخارجية .
- الاسترجاعات الداخلية.
- الاسترجاعات المختلطة.

(1) جيرار جنيت، خطاب الحكاية (بحث في المنهج)، ص 47.

(2) حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي (الفضاء، الزمن، الشخصية)، ص 121.

(3) بشرى عبد الله، جمالية الزمن في الرواية (دراسة متخصصة في جمالية الزمن في الرواية الإماراتية)، دار الهدد، دبي،

الإمارات العربية المتحدة، ط2، 2015، ص 105.

(4) ينظر: جيرار جنيت، خطاب الحكاية (بحث في المنهج)، ص 60.

الفصل الثاني: ثنائية الزمن والمكان والأثر التاريخي (دراسة في تغريبة بني هلال)

ولكننا في هذه الدراسة سنعتمد على النوعين الأولين مع محاولة استبيان الأثر التاريخي في كل نموذج.

- الاسترجاع الداخلي (Analopse Interne):

وهو الاسترجاع الذي « يعود لأي ماضي لاحق على لحظة الرواية، وتأخر تقديمه، أو عرضه في السرد»⁽¹⁾؛ وهذا يعني أنه يرتبط باللحظة الراهنة للنص الحكائي، وقد « أطلق عليه "جيرار جنيت" بالحكاية الأولى»⁽²⁾، وذلك من منطلق أن الاسترجاعات تتحدد بالقياس إلى الحكاية الأولى، التي تضاف إليها زمنيا حكاية تابعة للأولى.

- الاسترجاع الخارجي (Analopse Ixterne):

هذا النوع من الاسترجاعات « يعود إلى ما وراء الإفتتاحية، وبالتالي لا يتقاطع مع السرد الأولي الذي يتموقع بعد الإفتتاحية؛ لذلك نجده يسير على خط زمني مستقل وخاص به»⁽³⁾، وهو بهذا يتضمن أطرا زمنية خارجة عن المتن الداخلي للنص الحكائي. ويمكن توضيح الاسترجاع من خلال الجدول الآتي:

دراسة الأثر التاريخي للاسترجاعات الداخلية والخارجية

النص	الجزء	الصفحة	نوعه	الأثر التاريخي
«كان الملك النعمان حاضرا في الديوان، فصعب عليه ذلك الأمر، وأن أصله كان من بلاد العرب».	4	58	خارجي	يساهم هذا الاسترجاع هنا، في كشف الغطاء عن "مملكة المناذرة"، التي قامت في غضون القرن الأول قبل الميلاد، بـ"بلاد العراق" وما جاورها، وكانت بمحاذاة "الفرس"

(1) حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي (الفضاء، الزمن، الشخصية)، ص 31.

(2) جيرار جنيت، خطاب الحكاية (بحث في المنهج)، ص 60.

(3) عمر عاشور وابن الزيبان، البنية السردية عند "الطيب صالح" (البنية الزمانية والمكانية في "موسم الهجرة إلى الشمال")، دار هومة، الجزائر، (د ط)، 2010، ص 18.

الفصل الثاني: ثنائية الزمن والمكان والأثر التاريخي (دراسة في تغريبة بني هلال)

استرجاع خارجي استطاع أن يطلعنا كقراء على بعض الجوانب المهمة من تاريخ "الفرس"، بالتطرق لبعض الألقاب التاريخية لملوك أعاجم، حكموا زما طويلا، في فترة زمنية ليست بالقريبة .	خارجي	58	4	« كان الحاكم على بلاد الإعاجم، في تلك الأيام سبعة سلاطين عظام وهم: الخرمند، وعلى شاه، والصنصيل، والمغل، وبندر، والمنذر والنعمان».
جاء هذا الاسترجاع بهدف تسليط الضوء على شخصية تاريخية مهمة لها وزنها في التاريخ الفارسي، مستخدما توثيقا تاريخيا، ليثبت صحة كلامه.	خارجي	61	4	«كان الهارمز كما ذكره الرواة، وأصحاب السير، من أشد الفرسان،الذين اشتهروا بالشجاعة وقوة الجنان، في ذلك الزمان».
استرجاع خارجي يكشف عن جانب مهم من حياة شخصية تاريخية، لها قدسيته وأهميتها في قلب كل مسلم تتمثل في شخص النبي "إبراهيم عليه السلام"، وقد جاء استحضاره لإبراز تعلق الهالبيين بالدين الحنيف.	خارجي	118	9	« أنا من القدس، وكنت في زيارة إبراهيم الخليل، فخذ لك هذه الورقة البخور، وهي من دير الجيروان، على بركة الرحمان ».
جاء هذا الاسترجاع على شكل تحفيزي أطلقه أبو زيد لبني هلال، أثناء محاربتهم لجيش "شبيب التبعي" هذا وقد عمد فيه إلى استرجاع حادثة تاريخية، لها وزنها في تاريخ البشرية؛ حيث تمثل الميلاد الثاني لهم، وهي قصة "نوح عليه السلام"، وصبره حتى النهاية، ونجاته مع من آمن من قومه.	خارجي	146	11	« قال أبو زيد: افتكروا في نوح لما جاء الموج عليه سبعة بحور يبرمها بالمجج بالصبر صير له الباري سفينته من التخوف أنه العون والفرج».

الفصل الثاني: ثنائية الزمن والمكان والأثر التاريخي (دراسة في تغريبة بني هلال)

« افترك أبو زيد في قتل ابنه صبرا، فهاجت برأسه الحمية، ونخوة العرب الجاهلية »	17	239	داخلي	هذا الاسترجاع يبرز لنا، رجوع العصبية القبلية الجاهلية عند العرب الهالبيين وهذا ما يؤكد تشبثهم بطباعهم وصفاتهم التي فطروا عليها منذ الأزل.
« دقت الطبول ونفخت الزمور، وصارت الأرض تهوج وتموج، مثل أيام يأجوج ومأجوج »	21	330	خارجي	هذا الاسترجاع يحيلنا على حوادث تاريخية عظيمة، قبل مجئ أب البشرية "آدم عليه السلام". وقد تم استحضاره في المدونة للتعبير عن كثرتهم وحدتهم.

نلاحظ من خلال الجدول، وفرة الاسترجاعات الخارجية على حساب الداخلية، وذلك يعود إلى طبيعة المدونة المدروسة، والتي تنتمي إلى الأدب الشعبي؛ حيث يكثر استخدام الخيال الشعبي في زمن الوقائع والأحداث، في الفترة الزمنية التي تشير إليها "التغريبة". ولكن السرد قد يلجأ في الكثير من الأحيان إلى توظيف التاريخ بأحداثه وشخصياته، ليخلق لمؤلفه جانبا من المصادقية وهو ما يبرر كثرة الاسترجاعات الخارجية في المدونة.

بعد دراسة الاسترجاع في المدونة سنتطرق إلى الاستباق على النحو الآتي:

2-2-2- الاستباق (Prolpse):

تقودنا هذه التقنية إلى الكشف عن المجهول، من خلال قدرتها على الاستشراف، والتنبؤ بمستقبل الأحداث والوقائع، وهي بهذا مفارقة زمنية مضادة للاسترجاع. يطلق هذا المصطلح عادة على « مقطع حكائي يروي أو يثير أحداث سابقة عن أوانها، يتوقع حدوثها (...) » ويقضي هذا النمط من السرد القفز على فترة ما من زمن القصة، وتجاوز النقطة التي وصلها الخطاب لاستشراف مستقبل الأحداث، والتطلع إلى ما سيحصل من مستجدات «⁽¹⁾»، والسارد هنا يحاول أن يقحم القارئ في عملية إنتاج نصه

(1) حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي (الفضاء، الزمن، الشخصية)، ص 132.

الفصل الثاني: ثنائية الزمن والمكان والأثر التاريخي (دراسة في تغريبة بني هلال)

الإبداعي، من خلال اطلاعه على جملة من الحوادث والوقائع، قبل أن يحين أوان حدوثها، الزمن الطبيعي (زمن القصة).

- أنواعه: لهذه التقنية أنواع نلمحها في النص المعالج، وهي:

2-2-2-1- الاستباق الداخلي (Prolpse Interne):

هذا النوع من الاستباق « لا يتجاوز خاتمة الحكاية، ولا يخرج عن إطارها الزمني»⁽¹⁾ بل يتموقع داخلها، بعيدا كل البعد عن العالم الخارجي المحيط بالنص المكتوب.

ويرى "جيرار جنيت" أن مثل هذه الاستباقات « تطرح في الغالب المشكل نفسه الذي تطرحه الاسترجاعات، التي من النمط نفسه، ألا وهو مشكل المزوجة الممكنة بين الحكاية الأولى، والحكاية التي يتولاها المقطع الاستباقي»⁽²⁾.

والاستباق الداخلي لا يخرج في الغالب عن سعة الحكاية الأولى؛ إذ يمكن في إشارات استشرافية تخترق نقطة النهاية؛ وكثيرا ما يجد السارد نفسه وهو يستبق الأحداث حالما وآملا ومخططا، ولكن استباقاته وتنبؤاتها قد تصيب مرة، وتفشل مرات كثيرة. ويأتي هذا النوع الاستباقي على شكلين، هما:

- الاستباق التمهيدي (Praparaty Prolisis):

يعمل هذا الاستباق في طياته « حدث أو ملحوظة، أو إيجاد أولي، يمهد لحدث أكبر منه سيقع لاحقا»⁽³⁾ لهذا النوع من الاستباق دور مهم في سير الأحداث الروائية، ولعل وظيفته الأساسية تتدرج ضمن « التطلع إلى ما هو متوقع، أو محتمل الحدوث في العالم المحكي»⁽⁴⁾ أين تبدو الأحداث غامضة إلى حين نهاية النص الحكائي.

(1) لطيف زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرواية، عربي، انجليزي، فرنسي، دار النهار للنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2002، ص17.

(2) جيرار جنيت، خطاب الحكاية (بحث في المنهج)، ص 79.

(3) نضال الشمالي، الرواية والمكان (بحث في مستويات الخطاب في الرواية التاريخية العربية)، عالم الكتب الحديث، عمان، الأردن، ط1، 2006، ص166.

(4) حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي (الفضاء، الزمن، الشخصية)، ص 133.

الفصل الثاني: ثنائية الزمن والمكان والأثر التاريخي (دراسة في تغريبة بني هلال)

- الاستباق الاعلاني (Declarative Prolisis):

يقدم هذا النوع خدمة كبيرة للخطاب السردى؛ حيث « يضطلع بمهمة إخبارية حاسمة، تطرح بشكل مباشر حدثا سيجري تفصيله فيما سيأتي، غير قابل للنقص أو امتناع الحدوث»⁽¹⁾، وهو ما يفترض التحقق أكثر من سابقه.

يمكننا توضيح الاستباق بنوعيه في الجدول الآتي:

دراسة الأثر التاريخي للاستباقات				
النص	الجزء	الصفحة	نوعه	الأثر التاريخي
«قول سعدى: ولا بد ما تأتي هلال بن عامر من الشرق في جميع كثير غدار بأربع تسعينات ألوف عديدهم كذا دلّ الرّمْل بالأخبار».	2	33	تمهيدي	هذا الاستباق يمثل تمهيدا لبداية مسيرة "الهجرة الهلالية"، التي انطلقت من "بلاد نجد" باتجاه "المشرق"، مروراً بالمغرب واستقرارهم وتحكمهم فيه.
« قول الوزير الملك شبيب التبعي واسمه عميرة ليفسر منام سيده: لبني هلال بجمعهم قد أقبلوا مثل الجراد يا شبيب وأكثر أما السباع بني هلال وحروبه إلا بضرب السيف حتى يكسر».	11	138	اعلاني	كان هذا الاستباق بمثابة إعلان عن مجموعة من الأحداث التي ستقع لاحقاً، تكمن في مجئ بني هلال للشام بأعداد هائلة، لا تبقى ولا تذر، وهزيمتهم الساحقة للجيش الشامي بقيادة "شبيب التبعي" وهذه الصورة المرسومة عنهم لا تبتعد كثيراً عما حفظته ذاكرة التاريخ.

(1) بشرى عبد الله ، جمالية الزمن في الرواية (دراسة متخصصة في جماليات الزمن)، ص123.

الفصل الثاني: ثنائية الزمن والمكان والأثر التاريخي (دراسة في تغريبة بني هلال)

<p>يشير هذا الاستباق إلى تنبؤ الأمير "حسن" بتغلغل الهلاليين، في "الغرب" وامتلاكهم له، ثم تقاسمهم إياه. وهو ما حدث في الواقع ؛ حيث اقتطع كل واحد منهم مقاطعة له، ف "بنو زغبة" أخذوا "تونس" وما يليها، و"بنو هلال" أخذوا "المغرب الأوسط".</p>	<p>تمهيدي</p>	<p>233</p>	<p>16</p>	<p>« فلما فرغ دياب من كلامه فاعتذر له الأمير حسن وقال له: يا أمير دياب الخطأ يقع من قلب الصواب والخضرا خذ عوضها تونس من غير حساب، وأقطع لك ثلث المغرب الذي تريده وأنا مثلك وأبو زيد مثلي فحضروا جميعهم الديوان، وتقاسموا الجميع بالإسوة دون تونس».</p>
<p>يصرح هذا المقطع بوجود معلم تاريخي مهم بـ "تونس" وبالتحديد بـ "مكناسة"، بعد هذه الفترة وتنبؤ "الأمير حسن" بجعله قبلة للزوار والسواح. وهذا ما نلاحظه اليوم.</p>	<p>اعلاني</p>	<p>234</p>	<p>16</p>	<p>«تولى مكانه الأمير حسن، وأمر البنائون أن يصنعوا مشهدا ومزارا على قبر الزناتي».</p>
<p>هذا التهديد الذي أطلقه "أبو زيد" جاء كاستباق تمهيدي لحدث امتلاك "المغرب"، والسيطرة عليها من قبل "الهلاليين". وفي التاريخ نلاحظ أن سيطرتهم على المنطقة، كانت بداية سقوط القبائل البربرية الحميرية الأصل.</p>	<p>اعلاني</p>	<p>240</p>	<p>17</p>	<p>« قال أبو زيد: لأقطع حمير وأسبي نساهم وأبلي القوم في يوم القتال أقطع جنسكم يا آل حمير ولا أبقى رجال ولا عيال».</p>

الفصل الثاني: ثنائية الزمن والمكان والأثر التاريخي (دراسة في تغريبة بني هلال)

<p>استباق إعلاني وظف في السرد، ليبين سياسة العرب في التعامل مع البلدان المفتوحة ضد الإسلام، ودفع الجزية جزء من هذه السياسة. وهي مفروضة على كل من لم يعتنق الإسلام.</p>	<p>اعلاني</p>	<p>259</p>	<p>17</p>	<p>« قال له دياب: أنت تكون نائب على مدينة طنجة، وتقوم مقامنا بالأحكام، وترسل لنا الجزية في كل عام ».</p>
<p>استباق إعلاني استطاع من خلاله السرد التلميح لما سيحدث في المستقبل؛ إذ لم يكتف الهالليون بفرض سلطانهم على "الغرب" فحسب بل امتدت أيديهم إلى "الأندلس" أيضا. والتاريخ يسجل دخولهم للمنطقة، ومعاركهم مع "الموحدين" ضد "الإفرنج".</p>	<p>اعلاني</p>	<p>263</p>	<p>17</p>	<p>قال أبو زيد لصاحب قلعة الأندلس: « أنا أبو زيد مهلك للفوارس سأملك أرضكم ثم البلاد ».</p>
<p>هنا تنبأت أخت الزناتي ذات الأصول "الحميرية"، بتشتت "بني هلال" وتفرق وحدتهم وهو ما حصل بالفعل؛ حيث قامت الفتن بين الحسن بن سرحان وأبو زيد من جهة وبين دياب من جهة أخرى، لتتطور الأحداث فيما بعد ويصل الأمر لحد القتل وقد ساهمت "القبائل البربرية" تاريخيا في تعميق الفجوة بين الهالبيين.</p>	<p>تمهيدي</p>	<p>271</p>	<p>18</p>	<p>« قالت أخت الزناتي: تقول فتاة الحميرية التي شكت بدمع جرى فوق الخدود سكيب سأرحل لنجع هلال أفرق شملهم وأدعيهم في البر أكل الذيب ».</p>

الفصل الثاني: ثنائية الزمن والمكان والأثر التاريخي (دراسة في تغريبة بني هلال)

لقد سمحت الاستباقات بنوعها - التمهيدية والاعلانية- للشخصيات لا سيما التاريخية منها، التنبؤ بمستقبلها والتطلع عن وهواجسها تجاه ما سيأتي إلى المستقبل المجهول من أحداث، كما أنها لعبت دورا مهما في إثارة القارئ وتشويقه، عبر فتح مخيلته واطلاعه على أحداث لاحقة بشكل خاطف، ما يجعل قلبا معلقا في انتظار الاطلاع عليها بكل تفاصيلها فيما بعد.

وقد نلاحظ في هذا الصدد طغيان الاستباق الاعلاني، على حساب التمهيدي، وذلك لطبيعة المدونة.

2-2-2-2- الاستباق الخارجي (Prolepse Extreme):

يهتم بدراسة ماهو خارج النص، ويطلق هذا المصطلح على حادثة « مجموعة من الحوادث الروائية التي يحكيها السارد بهدف اطلاع المتلقي، على ما سيحدث في المستقبل، وحين يتم إقحام هذا المحكي المسبق كي يصل إلى نهايته المنطقية ووظيفة هذا النوع من الاستباقات الزمنية ختامية»⁽¹⁾، فهو بمثابة التمهيد أو الإعلان الأولي، لمضمون النص السردية، أو إشارة لمضمر خاتمته، ويظهر هذا النوع من الاستباقات « في العناوين والفواتح النصية، وطريقة تصميم الغلاف والألوان»⁽²⁾.

كما تعتبر الواجهة الأولى التي تواجه القارئ، تساعد في القبض على الخيوط المتشابكة للمتن النصي. وكثيرا ما يشتد هذا القارئ إلى « عناوين معينة أثارته، أو أسماء مؤلفين، كما يحدوا به الفضول إلى مطالعة عينة سريعة وشاملة لغلافها الخارجي، وطرائق

(1) أحمد مرشد، البنية والدلالة في روايات "إبراهيم نصر الله"، دار الفارس للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2005، ص267.

(2) سعاد طويل، البنية السردية في روايات "محمد ساري" (الورم نموذجا)، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الأدب العربي، إشراف: صالح مفقودة، جامعة بسكرة، الجزائر، 2007، ص120، (مخطوط).

الفصل الثاني: ثنائية الزمن والمكان والأثر التاريخي (دراسة في تغريبة بني هلال)

تشكيله، وما يتضمنه من رسومات، وألوان غيرها»⁽¹⁾ وهو ما جعلنا نؤمن بوجود علاقة وطيدة بين الخطاب السردي كنص أدبي مكتوب، وبين الشكل الخارجي لهذا النص. وقد حاولنا في إطار هذه الدراسة، استنباط بعض مظاهر هذا الشكل من خلال تقنية الاستباق الخارجي على النحو الآتي:

- الغلاف (Le couverture):

يقدم الغلاف خدمة كبيرة للخطاب الأدبي؛ حيث «يمنحه هوية بصرية ينبغي أن يتقبلها كإحدى هويات النص، فالغلاف أول من يحقق التواصل مع القارئ، قبل النص نفسه، فهو ينتزع السلطة من النص ويتحدث باسمه إلى شعار جديد، فهو الناطق بلسانه، يقدم قراءة للنص، وبالتالي يضع سماته وعلامته وهويته»⁽²⁾ فهو أول ما يتفحصه المتلقي من الكتاب وأول جزء يقع عليه بصره. ومن هنا كان وجوده ضرورة ملحة في واجهة كل نص مكتوب. وغالبا ما نجد في صفحته «العنوان، واسم الكاتب، ودار النشر، بالإضافة إلى لوحة، تمثل معظم حيز الغلاف»⁽³⁾، وهذا ما سنرصده في النص الذي نحن بصدد دراسته. الذي يتربع على مقياس: 24 سم طول 17 سم عرض، أما طبعته فهي الأولى، عدد صفحاته: 336 صفحة وهو من النوع المتوسط الحجم، والقارئ هنا لا يجد صعوبة في اقتنائه وحمله من مكان لآخر.

(1) نصيرة زوزو، الفضاء النصي في رواية "كتاب الأمير" للأعرج واسيني، مجلة المخبر (أبحاث في اللغة والأدب الجزائري)، جامعة بسكرة، الجزائر، ع6، 2010، ص 74.

(2) حسن نجمي، شعرية الفضاء السردي والتمثيل والهوية في الرواية العربية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2000، ص220.

(3) عبد الحسيب محمد مالكي، عتبة العنوان في الرواية الفلسطينية (دراسة في النص الموازي)، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الأدب العربي، إشراف: عادل الأسطل، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2003، ص49.

الفصل الثاني: ثنائية الزمن والمكان والأثر التاريخي (دراسة في تغريبة بني هلال)

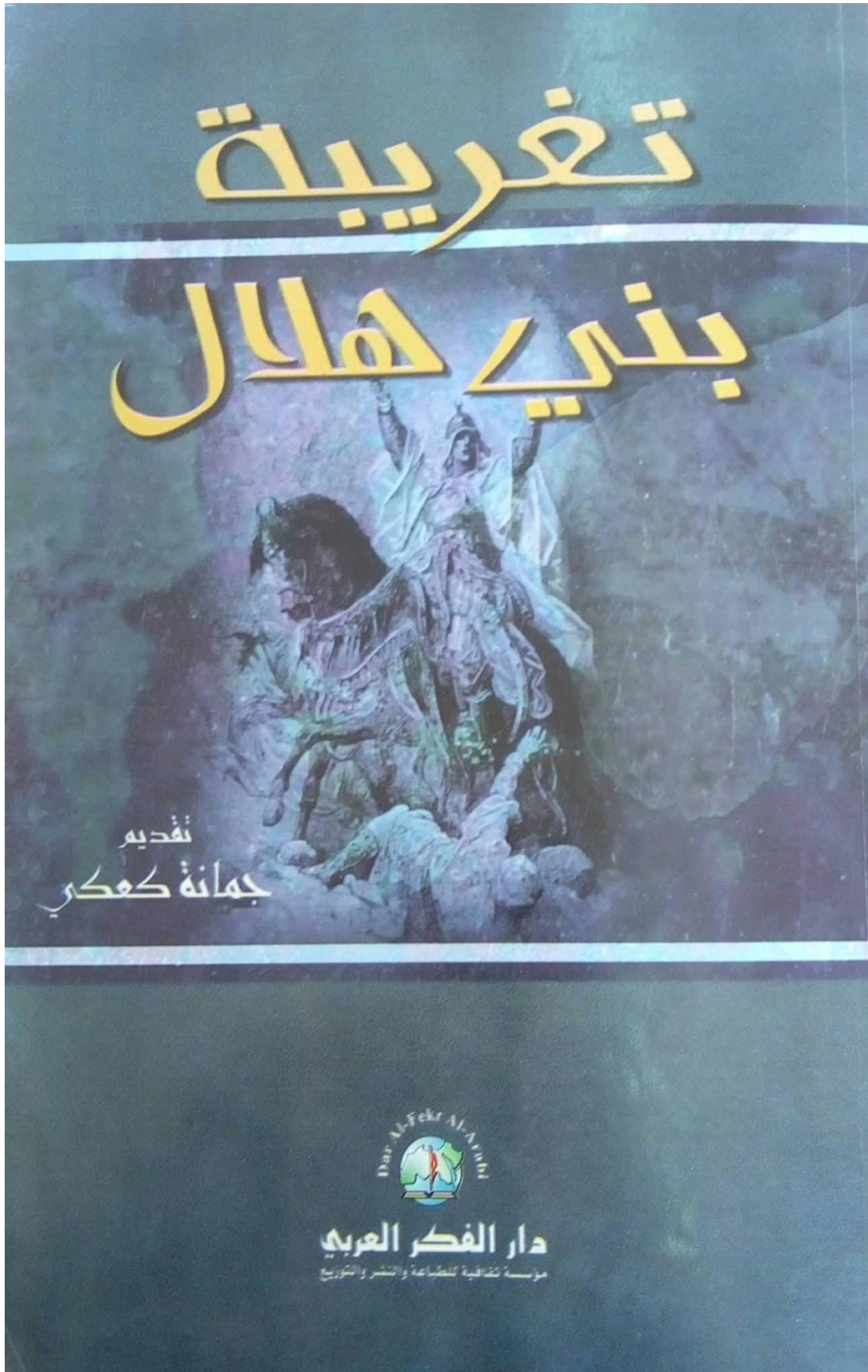
وقد جاء غلاف الكتاب مقسما إلى ثلاثة أقسام، كانت على شكل مستطيلات، الذي يدل في معظم أحواله على « الاتساع والامتداد الأفقي »⁽¹⁾ الذي ينعكس في المدونة على شساعة الفضاء الذي مر به الهالبيين؛ حيث امتد وجودهم من بداية هجرتهم من "نجد" نحو "المغرب". إلى أقطار مختلفة من الوطن العربي. فأول مستطيل كان هو الأصغر، والذي حمل جزء من عنوان المدونة وهو لفظة "تغريبة" جاء بمقياس 16 سم طول و 4.3 سم عرض ويفصل عن المستطيل الثاني شريط على هيئة أفقية، بمقياس 16.3 سم و 1 سم عرض. وهو يوحي « بالثبات والاستقرار والصمت والأمن والهدوء والتوازن »⁽²⁾، وينعكس هذا الحديث على الهالبيين الذين استقروا في النهاية بالمغرب؛ لذلك لا نستغرب وقوع لفظة "تغريبة" فوق هذا الشريط.

أما المستطيل الثاني، كانت مساحته الأوسع بالمقارنة مع غيره؛ حيث حدد بمقياس 16 سم طول و 12 سم عرض، وهو يتوسط الصورة التي سلطت الضوء على الفارس الهالبي الممتطي لجواده، الذي تبدو على هيئته علامات الشموخ والمجد والرفعة، والعلو والسمو، وكان بمحاذاة هذه الصور ظلامية وهنا كقراء نستطيع أن نستنبط الوضع المحوري للمدونة التي بين أيدينا، دون النظر إلى لفظة "بني هلال" التي جاءت كتأكيد على هذه الصورة، وتموّعت بالضبط في أعلاها، فشكلت معا علامة لسانية حقيقية، كان الدال فيها لفظة "بني هلال" والمدلول "الصورة".

ونجد على يسار المستطيل بالتحديد في أسفله، اسم الكاتبة الذي جاء بخط رقيق وفي أكبر من المستطيل الأول وأصغر من الثاني وقد تضمن اسم دار النشر الذي جاء في موقع يتوسطه، تعلوه خارطة تدل على مناطق تواجد الهالبيين.

(1) باية سيفون، محاضرات في السيميولوجيا للسنة الثالثة ليسانس، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية (قسم علوم الإعلام والاتصال)، جامعة المسيلة، الجزائر، 2016، ص 42.

(2) المرجع نفسه، ص 42.



الفصل الثاني: ثنائية الزمن والمكان والأثر التاريخي (دراسة في تغريبة بني هلال)

- العنوان (Le Titre):

يمثل العنوان « علامة لغوية تعلق العنوان لتسميه وتحدده، وتغري القارئ لقراءته، وهو بذلك أولى العتبات التي ينبغي تجاوزها لبلوغ المتن النصي، والتمكن من فك شفراته وطلاسمه، فالعنوان كالأسم للشئ به يعرف، ويفضله يتداول»⁽¹⁾

وهي مرحلة مهمة من مراحل القراءة والتلقي، يستطيع القارئ من خلالها استنتاج النصوص واستقراءتها، كما يعد شكلا من أشكال التواصل الجمالي؛ إذ يوحى بشئ من تفاصيل النص وعوالمه، وهو ما نلاحظه في النص المعالج؛ بحيث يأخذ العنوان الرئيسي فيه حجما كبيرا، وموقعا استراتيجيا في بداية سطح الغلاف؛ ونجده مكتوب بخط غليظ بلون أصفر، مغايرا للون سطح الواجهة بالبند العريض، حتى يلفت انتباه القارئ وهو "تغريبة بني هلال".

وإذا حاولنا قراءة هذا العنوان وتفكيكه، فسنجد لفظة "التغريبة" تحمل عدة اشتقاقات منها: «العَرَبُ لَفْظَةٌ بِخِلَافِ الشَّرْقِ وَهُوَ المَغْرِبُ. والعُرُوبُ: غُرُوبُ الشَّمْسِ. والعَرَبُ أيضا: الذَّهَابُ والتَّحْيِ عَنِ النَّاسِ. والعَرَبُ: النَّوَى: المَكَانُ الَّذِي تَنْوِي أَنْ تَأْتِيهِ فِي سَفَرِكَ. والتَّغْرِيبُ، النَّفْيُ عَنِ البَلَدِ»⁽²⁾. وهذا يشير إلى الموقع الجغرافي؛ حيث يوحى لنا بالاتجاه نحو الغرب (المغرب)، كما يدل على العُربِ عَنِ الوَطَنِ، وَقَدْ يُحِيلُ إِلَى طَبِيعَةِ الأَحْدَاثِ الَّتِي تُصَادِفُ الإِنْسَانَ وَهُوَ فِي عُرْبِيَّتِهِ.

أما الهلال في اللغة :

« فهو غُرَّةُ القَمَرِ (...) والجمع: أهْلَةٌ بالقِيَاسِ (...) وَيُسَمَّى القَمَرُ لِلْيَلْتِنِ مِنْ أَوَّلِ الشَّهْرِ هَلَالًا، وَلِلْيَلْتِنِ مِنْ آخِرِ الشَّهْرِ سِتٌّ وَعَشْرُونَ وَسَبْعٌ وَعَشْرُونَ هَلَالًا، وَيُسَمَّى مَا بَيْنَ ذَلِكَ

(1) محمد فكري الجزار، العنوان وسيميوطيقا الإتصال الأدبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، (د ط)، 1998، ص15.

(2) ابن منظور، لسان العرب، مادة (غ، ر، ب)، ج1، ص237، 238.

الفصل الثاني: ثنائية الزمن والمكان والأثر التاريخي (دراسة في تغريبة بني هلال)

قَمَرًا (...) وَيُقَالُ: أَهَلَّ الْقَمَرُ، وَلَا يُقَالُ أَهَلَّ الْهَيْلُ. لَدُنْكَ كَانَ الْهَيْلُ رَمُزَ النَّقْوِيمِ الْقَمَرِيِّ، فَهُوَ قُطْبٌ مُهْمٌ فِي تَحْدِيدِ مَسَارِ الدَّوْرَةِ الْقَمَرِيَّةِ»⁽¹⁾

فالهلال إذن؛ « هو رَمُزُ الْإِسْلَامِ وَشِعَارُهُ، وَلَا أَدَلَّ عَلَى ذَلِكَ مِنْ عُلُوِّهِ قِيَابَ الْمَسَاجِدِ، وَمُلَازِمَتِهِ الرَّايَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ عَلَى مَرِّ الْعُصُورِ»⁽²⁾. وهذه اللَّفْظَةُ تُوْحِي لَنَا أَيْضًا بِعِبَارَةٍ أُخْرَى لَيْسَتْ بِبَعِيدَةٍ عَنْهَا، وَالْمُتَمَثِّلَةُ فِي: "بنو هلال" وهي إحدى القبائل العربية.

وإذا نظرنا إلى العنوان الإجمالي "تغريبة بنو هلال"، فإننا سنجد بصفة قطعية يحيل إلى تغرب القبيلة وتوجهها نحو المغرب، في رحلة لم يكن المسير فيها بالأمر الهين، وكان الهدف من هذه الرحلة هو "المغرب"، باعتباره الفضاء الموعودة الذي خاض من أجله هؤلاء العرب حروباً دامية، ليتسنى لهم الإقامة والاستقرار فيه.

- الصورة (Le photo):

تمثل العتبة الأمامية للكتاب، وهي عبارة عن «علامة أيقونية خطاب مشكل كمتتالية غير قابلة للتقطيع؛ لأنها المتتالية التي تسعى إلى تحريك الدواخل والانفعالات»⁽³⁾ وبقدر أهمية الصورة بقدر قدرتها على جذب جمهور القراء.

وتأتي الصورة غالباً على شاكلة « رموز وأشكال وحركات، تشكل مجتمعة بنية دلالية، لها رمزيتها في توليد خطاب إشهاري إعلاني للقارئ»⁽⁴⁾

(1) المصدر السابق، مادة (غ، ر، ب)، ج11، ص703، 704.

(2) الأخضر ميدني ابن حويلي، الفيض الفني في سيميائية الألوان عند "نزار قباني"، مجلة جامعة دمشق، سوريا، ع3، 4، مج2، (دت)، ص112.

(3) أمينة فزاري، سيميائية الشخصية الحكائية في تغريبة بني هلال، ص243.

(4) مهاجي فايزة، فعاليات العتبات النصية ودلالاتها (قراءة في الخطاب الروائي الجزائري رواية "الورم" نموذجاً)، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في النقد الأدبي الحديث والمعاصر، إشراف: عفاف قادة، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر، 2015، ص104.

الفصل الثاني: ثنائية الزمن والمكان والأثر التاريخي (دراسة في تغريبة بني هلال)

وإذا نظرنا إلى صفحة الغلاف الخارجي للمدونة « أدهشتنا منها بعض الرسوم، حتى ولو لم نكن قد قرأنا كلمة منها»⁽¹⁾؛ إذ نلحظ صورة تعبر عن الحروب والمعارك، التي خاضها الهالليون ضد جيوش الأمم التي قاموا بغزوها. كما تبرز بطولتهم وشجاعتهم على التحمل في سبيل تحقيق مقصدهم، وظهر ذلك من خلال صورة ذلك الفارس الهاللي، التي تبدو على وجهه صفات الإقدام والشجاعة والصمود، وهو مع حصانه بالزي التقليدي العربي الأصيل. وهذا إن دل فإنه يدل على البداوة العربية التي تنطلق من المنبت الأصلي للعرب، بما فيها الهالبيين، وهي بشبه الجزيرة العربية.

كما يظهر في الصورة نفسها فارس لا يبدو من هيئته أنه هاللي، وهو واقع على الأرض مهزوما مهانا. وقراءة القارئ لهذه الصورة يجعله يتوقع ما بداخل هذا النص؛ حيث سيعطي قراءة سريعة تكشف لنا أنه هناك معارك عظيمة، قامت بين هؤلاء العرب وغيرهم من الأمم، وكان النصر في النهاية للعرب الهالبيين، والمتلقي العربي في هذه الحالة سيتذكر ذلك الزمن الغابر الذي تميز بحضور القيم الإنسانية، بما في ذلك من مجد وفروسية وبطولة، التي رفعت من قيمة الإنسان العربي، وجعلته أنموذجا جديرا بالإحتذاء.

وهناك الرسمة التي توجد في أسفل الغلاف أيضا، قد ساهمت هي الأخرى في منح المعرفة الأولية بخصوص ما يتضمنه النص؛ إذ نلحظ فوق دار النشر صورة لخارطة العالم العربي، وهذا يدل على محاولة تتبع مسار الهالبيين، وهم يجتازون البلدان والأمم باتجاه المغرب (تونس).

فالمدونة من خلال هذا التشكيل، تطلع القارئ إذا بمعرفة مخبأة تتضح للعيان، بعد ولوج عالم النص، بل وتغذي فضوله، وتغريه بالقراءة.

(1) قدور عبد الله ثاني، سيميائية الصورة (مغامرة سيميائية في أشهر الإرساليات البصرية في العالم)، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر، (د ط)، 2005، ص149.

- الألوان (Les Couleurs) :

لا أحد ينكر فضل الألوان في حياتنا؛ فهو الذي يمنح الإنسان الثقة والأمل، ويمنح الطبيعة والجمال، فهو عبارة عن «إحساس يؤثر في العين عن طريق الضوء، وهو إحساس ملون، ولا حتى نتيجة لتقليل الضوء، بل هو إحساس مرسل إلى العقل عن طريق رؤية شئ ملون ومضئ»⁽¹⁾، فلألوان دلالات معينة تترك وقعا مميزا في النفوس، وتضفي أحاسيس مختلفة ومتباينة في قلوب القراء؛ لذا كان على المؤلف إدراك هذه الدلالات المهمة في تشكيل الغلاف الأمامي لنصه.

وإذا ما انتقلنا إلى رصد الألوان، فسنجد في صفحة غلاف الكتاب أربعة ألوان بارزة:

- الأزرق (Bleu) :

ما يشد انتباهنا هو طغيان اللون الأزرق على صفحة الغلاف الأمامي والخلفي للمدونة المدروسة. وهذا يعود إلى أهميته؛ إذ يعتبر من «أهم ظواهر الطبيعة وأجملها، ومن أهم العناصر التي تشكل الصورة»⁽²⁾، كما أنه يدخل في تركيبية العديد من الألوان الثانوية. ولهذا اللون دلالات متعددة ومتباينة «وربما يعود ذلك لأسباب منها: تفاوت حركاته من الفاتح إلى القاتم؛ حيث يقترب هذا الأخير من اللون الأسود؛ لذا فهو يثير النفور والحدق والكراهية، وقد إرتبط بالغول والجن، والقوى السلبية في الأرض»⁽³⁾.

ومن المعروف أن المدونات الشعبية العربية، تحتوي على قدر كبير من هذه الأشياء، لذلك من الطبيعي أن يتولد أفق توقع للقارئ في ظل تواجد الخيال الشعبي في المدونة،

(1) الأخضر ميدني ابن حويلي، الفيض الفني في سيميائية الألوان عند "نزار قباني"، مجلة جامعة دمشق، سوريا، ع 3، 4، مج 2، (دت)، ص 112.

(2) مرضية آباد ورسول بلاوي، دلالات الألوان في شعر "يحيى السماري"، مجلة إضاءات نقدية (فصلية محكمة)، إيران، ع 8، 2012، ص 9.

(3) أحمد عبد الله محمد حمدان، دلالات الألوان في شعر "نزار قباني"، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية، إشراف: يحيى صبر خليل عودة، جامعة نابلس، فلسطين، 2008، ص 51.

الفصل الثاني: ثنائية الزمن والمكان والأثر التاريخي (دراسة في تغريبة بني هلال)

المتثل في السحر والجن والغول، وغيرها من الأمور غير الطبيعية، فالبطل الشعبي دوما كان مصحوبا بقوى تنتمي للعالم الغيبي تساعده في الانتصار على خصومه مهما كانوا. وهو يشير أيضا إلى أن هناك بعض الأحقاد ستفجر في معسكر الهالبيين، سواء ضد خصومهم، أو ضد أنفسهم؛ حيث يوحى بالظلامية والسوداوية. وقد يدل هذا اللون على « القلق المتزايد (...) » وقد يضطر هذا القلق الشخص إلى أن يغادر وطنه، أو يغير وظيفته، أو يهرب إلى بعض النشاط التعويضي»⁽¹⁾.

وهو ما نجده في محتوى المدونة، الذي يدل على قلق واضطراب الهالبيين من المجاعة التي انتشرت في موطنهم الأصلي، وعزمهم على التغرب، والذهاب بعيدا؛ حيث الأرض الموعودة التي تنبض بالحياة والطمانينة، والتي تزخر بالخيرات والمياه، المتمثلة في "المغرب". وهي الفضاء النصي القابل للإقامة والإستقرار، فلم الهالبيين في الخلاص من الفقر والمجاعة والحرمان، بات متعلقا بوصولهم لهذه الأرض التي تمثل لهم الجنة.

– الأصفر (Jaune):

لقد جاء لون عبارة "تغريبة" أعمق نوعا ما من العبارة التي تليها "بني هلال" باللون البني وهو يتسم بقلبة « النشاط الضاغط في الأحمر، ويتجه إلى أن يكون أكثر هدوء»⁽²⁾ ما يجعله مكان مناسباً للاستقرار؛ لذلك اختصت به لفظة "تغريبة" دون سواها، وهو يحيل أيضا إلى الغموض المؤقت الذي يدعو للتساؤل عن أبطال هذه الرحلة المفروضة.

لنتبرز بعده لفظة "بني هلال" في الأسفل مباشرة، لغرض فك الإبهام الذي خلقتة العبارة السابقة. وقد طبعت تلك العبارة باللون الأصفر الفاتح الذي كشف لنا عن الأبطال الفاعلة في المدونة، وتم وضعهم في الواجهة أمام القارئ ليتسنى له تفكيك ما بداخل النص قبل الاطلاع عليه.

(1) أحمد مختار عمر، اللغة والون، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط2، 1997، ص334.

(2) المرجع نفسه، ص186.

الفصل الثاني: ثنائية الزمن والمكان والأثر التاريخي (دراسة في تغريبة بني هلال)

وهذا اللون في جميع أحواله سواء أكان داكنا أو فاتحا يمثل « قمة التوهج والإشراق ويعد أكثر الألوان إضاءة ونورانية، لأنه لون الشمس، ومصدر الضوء، واهبة الحرارة والنشاط والغبطة والسرور»⁽¹⁾ لذلك كان مناسباً لعنوان المدونة " تغريبة بني هلال"، نظراً لما تكتنزه أرض المغرب من خيرات في ذلك الزمان؛ أي القرن الخامس الهجري، وهو ما يجعلها مصدر طمع للهلاليين. فاللون الأصفر في العادة يبدو مرتبطاً بشكل مستمر بالحياة الإنسانية في جميع ميادينها، خاصة الإقتصادية منها؛ إذ يوحى « بقطف الثمار، وجني الحصاد في فصل الصيف، ويرمز إلى إصفرار حقول القمح والشعير والذرة»⁽²⁾ وهذا ما يشير إلى خصوبة الأرض المغربية، وغناها بالموارد والثروات الطبيعية، التي تضمن الحياة الهادئة والمستقرة للشعوب، وهذا ما دفع بالهلاليين التفكير في الهجرة إليها دون غيرها.

– الفضي (Argent):

لون أزرق فاتح وشفاف وهو « لون مريح، بارد وطيّق، يعطي انطباعاً بالهدوء والنضارة يستحضر لون السماء والبحر، والفضاءات النفسية والحرية»⁽³⁾، وهو يأتي أحياناً بدلالة متطابقة مع « الأوهام وأحلام اليقظة»⁽⁴⁾.

وهذا ما نقرأه في المدونة من خلال قرينه الواضح من من لفظة "تغريبة" باعتبارها ذلك الأمل الذي بنى عليه الهالليون آمالهم وأحلامهم، للتخلص من الفقر والمعاناة... إلخ وللأزرق الفاتح أو الفضي ارتباط وثيق بالأشياء اللامعة، لذا كان من الطبيعي أن يرتبط

(1) مرضية آباد ورسول بلاوي، دلالات الألوان في شعر "يحيى السماري"، ص 26.

(2) صديقة معمر، شعرية الألوان في النص الشعري الجزائري المعاصر (فترة 1988-2008)، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الأدب الجزائري الحديث والمعاصر، إشراف: يحيى الشيخ صالح، جامعة قسنطينة، الجزائر، 2010، ص 91.

(3) الأخضر ميدني ابن حويلي، الفيض الفني في سيميائية الألوان عند "نزار قباني"، ص 115.

(4) محمد حمود مجد، الألوان ودورها، تصنيفها، مصادرها، رمزياتها، ودلالاتها، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط 1، 2013، ص 82.

الفصل الثاني: ثنائية الزمن والمكان والأثر التاريخي (دراسة في تغريبة بني هلال)

بدلالة السيوف والرماح؛ إذ نجد من تعبيراته « تسمية الأسنة زرقا»⁽¹⁾، وفي هذا دلالة واضحة على نوعية السلاح المستخدم في معارك الهلاليين في المشرق والمغرب العربي، والمتمثل في السيوف وهذا ما لا حظناه في صورة ذلك الفارس وهو يحمل سيفاً في يده اليمنى، رافعا كلتا يديه للأعلى للدلالة على الانتصار والتغلب على خصومه. وقد طوقت الصورة في الوسط بشريطين باللون نفسه - الفضي-، وهذا يدل على قيمته أهميته عندهم، فهو يمثل الفخر والزعامة والسيادة، والشهامة والعروبة والأصالة، وكل القيم التي تضمن لهم الخلود والمجد الأبدي.

- الأبيض (Blanc):

هذا اللون سجل حضوره على اسم الكاتبة "جمانة كعكي"، الذي جاء أسفل عنوان المدونة والصورة المرافقة له. ونجده أيضا على اسم دار النشر (دار الفكر العربي) للدلالة على المؤسسة المعنية بإخراج هذا العمل ومصداقيتها، وهو يرمز أيضا إلى « الصفاء ونقاء السيرورة، والهدوء والأمل، وحب الخير والبساطة في الحياة»⁽²⁾. لعل إستخدامه في هذه المدونة، قد دل على محاولة إظهار صفاء نيتها تجاه المؤلف باستخدامها لعبارات متسقة ومنقحة، مواكبة لجميع الفئات العمرية في المجتمع العربي متضمنة للقيم الإنسانية، فهي هنا لا تخاطب القارئ الناقد والباحث فقط بل تعني أيضا بذلك القارئ البسيط. لذلك فإن النص سيكون انعكاسا للبيئة العربية، بطابعها البدوي الذي يحمل التقاليد العربية.

فبعد دراسة الزمن وتطبيق آلياته على المدونة. نتطرق بعد ذلك إلى دراسة بنية المكان وأثره التاريخي. في الجزء الثاني من هذا الفصل.

(1) أحمد مختار عمر، اللغة واللون، ص78.

(2) المرجع السابق، ص185.

ثانيا: تجليات الأمكنة وأثرها التاريخي:

1- المكان بين المفهوم اللغوي والاصطلاحي:

يعد المكان من مكونات البنية السردية، فهو إطار الحدث إلى جانب الزمن الذي يشكل الخطاب الذي تسير عليه الشخصية في توالي الأحداث، وقد نال المكان قسطا كبيرا من الاهتمام في الدراسات الحديثة، خاصة فيما يتعلق بالمفهوم. ولمحاولة ضبط هذا الأخير حاولنا الوقوف على تعريف لغة واصطلاحا كالاتي.

1-1 المفهوم اللغوي:

ورد في (لسان العرب) "لابن منظور": « المَكَانُ، وَالْمَكَائَةُ وَاحِدَةٌ. التَهْذِيبُ اللَّيْثُ: مَكَانٌ فِي أَصْلِ تَقْدِيرِ الْفِعْلِ مَفْعَلٌ، لِأَنَّهُ مَوْضِعٌ لِكَيْتُونَةَ الشَّيْءِ فِيهِ؛ غَيْرَ أَنَّهُ لَمَّا كَثُرَ أَجْزَاؤُهُ فِي التَّصْرِيفِ مَجْرَى فَعَالٌ، فَقَالُوا مَكَّنَّا لَهُ وَقَدْ تَمَكَّنَ»⁽¹⁾

وجاء في (القاموس المحيط) "للفيروز آبادي" في نفس المادة ما يلي:

«المكان: المَوْضِعُ أَمْكِنَةٌ وَأَمَاكِينٌ، وَالْمَكَانُ بِالْفَتْحِ نَبْتُ وَوَادٍ، مُمَكِّنٌ بُنِيَتْهُ»⁽²⁾.

يتضح لنا أن المفهوم اللغوي للمكان يشير إلى: المَوْضِعِ وَالْإِسْتِقْرَارِ وَالتَّثَابِتِ فِي مَكَانٍ وَالْمُكُوتِ؛ فهو مَوْضِعُ الْإِقَامَةِ، وَمَقَرُّ الْعَزْوِ وَالهِجْرَةِ، وَهُوَ الْحَيْزُ الَّذِي يَشْمَلُ الْإِنْسَانَ وَأَنْشِطَتَهُ، وَيَتَّبِعُ لِيَشْمَلَ الْأَرْضَ وَمَا عَلَيْهَا.

والمكان بهذا المعنى لا يبتعد كثيرا عما سنتطرق إليه في المفهوم الاصطلاحي.

(1) ابن منظور، لسان العرب، مادة (م، ك، ن)، ج13، ص414.

(2) الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مادة (م، ك، ن)، ج4، ص267.

1-2 المفهوم الاصطلاحي:

يعتبر المكان عنصرا أساسيا من العناصر المشكلة للدراسة السردية، وقد عني الدارسون والباحثون به عناية فائقة، فأصبح من الضروري التطرق إليه في الدراسات المعاصرة.

ويعد المكان « مكونا محوريا في بنية السرد؛ بحيث لا يمكن تصور حكاية بدون مكان؛ فلا وجود لأحداث خارج المكان، ذلك أن كل حدث يأخذ وجوده مكان محدود »⁽¹⁾ فهو المحور وبؤرة السرد الحكائي، والإطار الذي يحرك الأحداث؛ حيث يرى "حسن بحراوي" أن « المكان لا يعيش منعزلا عن باقي عناصر السرد، وإنما يدخل في علاقات متعددة مع المكونات الحكائية الأخرى للسرد»⁽²⁾ مما يصعب عزله أو إبعاده عن باقي العناصر الحكائية الأخرى.

وقد ربط "ياسين النصير" مفهوم المكان بالظروف الاجتماعية المحيطة بالفرد من خلال قوله: « هو ذلك الكيان الاجتماعي الذي يحتوي على خلاصة التفاعل بين الإنسان ومجتمعه»⁽³⁾ فيحوي جميع تفاعلاته مع غيره من أبناء جنسه ليؤثر فيهم، « ويعكس سلوكهم وطبائعهم، وفق ما يقتضيه تنظيمه المعماري؛ حتى أنه يمكننا من التعرف على الشخصية من خلال مكان تواجدها»⁽⁴⁾، فيبرز تفكيرها وحالتها الاجتماعية بالإعتماد على مكان تواجدها الذي تقيم فيه.

« ومع اختلاف الدارسين في تحديد مفهوم المصطلح اختلفت تسمياته، فالبعض أطلق عليه اسم "الحيز المكاني"، والبعض الآخر "المكان"، وآخرون "الفضاء"، وراح كل باحث

(1) محمد بوعزة، تحليل النص السردية (تقنيات ومفاهيم)، منشورات الإختلاف، الجزائر، ط1، 2010، ص99.

(2) حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، (الفضاء، الزمن، الشخصية)، ص26.

(3) ياسين النصير، الرواية والمكان، دار الحرية للثقافة، بغداد، العراق، (د ط)، 1986، ص16.

(4) ربيعة بدري، البنية السردية في رواية "خطوات في الإتجاه الآخر" لحناوي زاغز، ص112.

الفصل الثاني: ثنائية الزمن والمكان والأثر التاريخي (دراسة في تغريبه بني هلال)

يدافع عن تسميته ويبرز دلالاته الأدبية»⁽¹⁾، ويعود هذا الاختلاف والتباين من ناقد إلى آخر ومن باحث إلى آخر إلى الترجمة الحرفية للفظه كل حسب رؤيته، ووجهة نظره الخاصة « رغم المصطلحات المتداولة في الدراسات الحديثة ممارسة وتطبيقاً، إلا أن مصطلح الفضاء، عد من أبرزها شيوعاً وأغناها، لأنه أوسع في المعنى وأعمق دلالة»⁽²⁾

وهذا يتوافق مع ما ذهب إليه الناقد "حميد الحميداني" وذلك من خلال قوله: « إن الفضاء في الرواية هو أوسع وأشمل من المكان إنه مجموع الأمكنة التي تقوم عليها الحركة الروائية، المتمثلة في سيرورة الحكيم، سواء تلك التي تم تصويرها بشكل مباشر، عن تلك التي تدرك بالضرورة»⁽³⁾ وهذا يعني؛ أن الفضاء أكبر وأعم من المكان.

وذلك ما ذهب إليه "غاستون باشلار" (**Gaston Bachelard**) بقوله: « كون حقيقي بكل ما للكلمة من معنى»⁽⁴⁾ فيجعله ذا مساحة شاسعة، ويمثل حقيقة موجودة لا غنى عنها في العمل الفني.

ويرى "جيرار جنيت" « أن استعمال الفضاء يتعدى بكثير مجرد الإشارة إلى مكان من الأمكنة»⁽⁵⁾؛ فهو أعمق دلالة وأشجع مجالاً من المكان.

أما الناقد الجزائري "عبد المالك مرتاض" فقد اقترح مصطلح "الحيز" الذي يراه الأفضل والأنسب من غيره؛ حيث يقول: « إذا كان للمكان حدود تحده، ونهاية ينتهي إليها، فإن الحيز لا حدود له ولا انتهاء؛ فهو المجال الفسيح الذي يتبارى في مضطربه كتاب الرواية»⁽⁶⁾؛

(1) كلثوم مدقن، دلالة المكان في رواية "موسم الهجرة إلى الشمال" لـ "الطيب صالح"، مجلة الأثر، جامعة ورقلة، الجزائر، ع4، ماي 2005، ص140.

(2) المرجع نفسه، ص142.

(3) حميد الحميداني، بنية النص السردي (من منظور النقد الأدبي)، ص64.

(4) غاستون باشلار، جماليات المكان، تر: غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 1984، ص38.

(5) جيرار جنيت وآخرون، الفضاء الروائي، تر: عبد الرحيم حزل، أفريقيا الشرق، بيروت، لبنان، (د ط)، 2002، ص20.

(6) عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد)، ص125.

الفصل الثاني: ثنائية الزمن والمكان والأثر التاريخي (دراسة في تغريبة بني هلال)

وبهذا فإنه جعل المكان محدود ومضبوط، على خلاف الفضاء والحيز، فإنه غير مقيد بل أعم وأوسع من المكان، وهذا ما يؤكد من خلال قوله: «لا نرتاح إلى هذه التسمية في النقد الروائي؛ حيث أن المكان يصبح قاصرا أمام إطلاقات أخراة، أشمل وأشسع»⁽¹⁾.
فمن خلال ماسبق نستنتج أن كل هذه الدراسات، تشير إلى أن مصطلح الفضاء كان هو الغالب والمسيطر في البحوث النقدية، باعتباره الأكبر دلالة وأوسعها.

1-3 المكان التاريخي (Le Lieu historique):

في هذا النوع من الأمكنة نجد التحاما بين هذا الأخير، وبين الزمن؛ حيث يصبح أثره فيه جليا « وواضحا، ويشكل الإمتداد الزمني خصوصية من خصوصياته، ويتسم المكان التاريخي بكونه متجذرا في الزمن، ومستمدا حيويته وديمومته من إندماجه الزمني، وهو ما يدعوه بعض النقاد بالزمكانية»⁽²⁾. يمكننا القول بعد هذا الحديث؛ أن تاريخية المكان يمكن أن تقاس بمقدار ما تحمله من مؤشرات زمانية.

والمدونة التي نحن بصدد دراستها، كغيرها من الخطابات الحكائية، تحتوي على مجموعة من الأمكنة التاريخية، تتراوح بين المفتوحة والمغلقة وعليه يمكن ضبطها على النحو الآتي:

- المكان المفتوح (Le Lieu ouvert):

ذلك الذي يغطي مساحة شاسعة من الكرة الأرضية فهو «المكان المشاع للجميع، حدوده متسعة ومفتوحة»⁽³⁾؛ حيث لا يخلوا من أي خطاب حكائي، نظرا لأهميته البالغة في منح الشخصيات القدرة على التحرك بكل حرية، دون موانع أو عوارض.

(1) عبد المالك مرتاض، تحليل الخطاب السردي (معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية "زقاق المدق")، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، (د ط)، 1995، ص 245.

(2) حسن سالم هندي إسماعيل، الرواية التاريخية في الأدب العربي الحديث (دراسة في البنية السرية)، دار الحامد للنشر، عمان، الأردن، ط1، 2014، ص 232.

(3) صلاح بان، البناء، الفواعل السردية في الرواية، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2008، ص 32.

الفصل الثاني: ثنائية الزمن والمكان والأثر التاريخي (دراسة في تغريبة بني هلال)

- المكان المغلق (Le lieu fermé) :

هذا النوع من الأمكنة يتخذ في العادة « شكلا هندسيا محددًا لذلك كان يجب أن تحدها حدود من جوانبها الثلاثة على أقل تقدير، بشرط أن تكون سقفية»⁽¹⁾ توضح معالمها وتبرز هيئتها.

ويمكن توضيح الأماكن التاريخية من خلال الجدول الآتي:

دراسة أنواع الأمكنة وأثرها التاريخي					
المقطع السردى	الجزء	الصفحة	المكان	نوعه	الأثر التاريخي
« بلاد نجد كانت من أخصب بلاد العرب، كثيرة المياه والغدران، والسهول والوديان (...) وفيها كانت مساكن بني هلال في سالف الأزمان ».	1	7	نجد	مفتوح	نلاحظ أن السارد قد أسهب نوعا ما في وصف هذا المكان، الذي يمثل الموطن الأصلي لأبطال المدونة، والتاريخ يشهد على خصوبة هذه الأرض في عصور سالفة، تعود إلى ما قبل الهجرة الهلالية.
« ساروا إلى أن وصلوا إلى القدس، مدينة الأنبياء ومحل التبريك والتشريف »	2	24	القدس	مفتوح	هذا المكان يحمل قداسة دينية، واستحضاره ما هو إلا إستحضار للوقائع التي سطرها التاريخ خاصة المتعلقة بالجانب الديني، من خلال جعلها مهدا النبوة.

(1) وجدان يعقوب محمد، الزمان والمكان في روايات "تجيب الكيلاني"، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، إشراف: جامعة العراق، 2011، ص156.

الفصل الثاني: ثنائية الزمن والمكان والأثر التاريخي (دراسة في تغريبة بني هلال)

<p>لهذا المكان حضور بنائي وفعال في المدونة، لا سيما أثناء مكوث الهلاليين بالمشرق، وقد تعرض فيه السرد بالوصف المطول، لإبراز المكانة التاريخية التي تمثلها المنطقة؛ حيث كانت في سالف العصور منارة وجوهرة عظيمة، لما كانت تحظى به من فخامة العمران والأرض.</p>	مفتوح	حلب الشهباء	25 24	2	« ما زالوا يقطعون الصحراء حتى وصلوا بعد عشرة أيام إلى حلب الشهباء (...) وهي من أطرف المدن والبلدان، نظرا لما فيها من الأبنية والحوانيت الحسان، ولا سيما لطافة أهاليها، وكثرة الفاكهة فيها ».
<p>يأتي الحديث عن هذا المكان التاريخي في إطار متابعة طريق الهلاليين في البلاد المصرية، إذ لم يكتفوا بالمرور على الصعيد، بل مكثوا في مناطق أخرى لفترة من الزمن.</p>	مفتوح	العريش	26	2	«جدوا في قطع البراري والقفار، والسهول والأوعار حتى وصلوا إلى العريش»
<p>لم تولي المدونة أهمية كبيرة لهذا المكان التاريخي، ولكن يمكن أن ندرك سبب إقحامه في الخطاب، من خلال ربطه بنية الهلاليين المسبقة في غزو المنطقة.</p>	مفتوح	عين دورس	33	2	« ثم ساروا من هناك (...) عين دورس فوجدها أحسن محل لامتلاك تونس ».
<p>فضاء شاسع خصب له أهميته التاريخية البارزة في تاريخ العرب، وقد جاء استحضاره في سبيل تتبع الرحلات المستمرة لعرب بني هلال إلى المشرق.</p>	مفتوح	العراق	77	6	«ركبت الفرسان والأبطال والنساء والعيال، ساروا من تلك الأطلال حتى وصلوا إلى بلاد العراق ».

الفصل الثاني: ثنائية الزمن والمكان والأثر التاريخي (دراسة في تغريبة بني هلال)

<p>فضاء واسع ومشرق، له مكانة كبيرة في تاريخ الرحلة الهلالية، بل إنه كان السبب لقيامها، بل إنه كان السبب لقيامها، لذلك كان من الطبيعي تخصيص مساحة كبيرة في المجال النصي للمدونة.</p>	مفتوح	بلاد الغرب	86	6	<p>«عند ذلك هدّت المضارب وركب الفرسان ظهور الجنائب واعتقلوا بالسيوف والنصول، وقد ملأوا بكثرتهم تلك السهول، وركبت أيضا النساء والبنات في الهودج والعماريات قاصدين بلاد الغرب».</p>
<p>تمثل الخيمة موقعا تاريخيا مهما، وتعكس بطبيعتها نمطية المعيشة عند الهلاليين، أثناء تنقلهم بين البلدان، وهي تمثل حالة من اللااستقرار التي كان يعيشها العرب في القديم؛ حيث كان الحل والترحال بحثا عن الماء والكأ مطلباً أساسياً عندهم، وقد تم استحضار هذا المكان للربط بين الصورتين رغم الفارق الزمني الكبير بينهما لإثبات عقلية الإنسان الهلالي التي لا تتعد كثيرا عن عقلية أسلافهم في "تجد"</p>	مغلق	الخيمة	189	14	<p>«أمر الأمير حسن بهدم المضارب والخيام، وهدت في الحال وركبت الأبطال ظهور الخيل والجمال، وسارت العماريات بالنساء والعيال أمام الفرسان والأبطال».</p>

الفصل الثاني: ثنائية الزمن والمكان والأثر التاريخي (دراسة في تغريبة بني هلال)

<p>إن استعراض هذا المكان التاريخي ساهم كثيرا في رصد الظروف العسكرية التي كانت تقوم بها البلدان المتخاصمة، من أجل صد هجمات العدو. فكانت الأسوار إحدى هذه الوسائل المستخدمة في العملية الدفاعية، وقد سلط الضوء على سور تونس، نظرا لما تحتله المنطقة من مكانة مهمة في ذلك الوقت.</p>	مغلق	السور	222	16	<p>« دقت طبول الإنفصال فولت قوم الزناتي من خارج السور هاربين إلى النجاة طالبين ».</p>
<p>لقد تعدد ورود هذا المكان في المدونة ذلك لأهميته الكبيرة في تلك المرحلة؛ أي زمن الهجرة الهلالية، وهو ما يتوافق مع فترة العصور الوسطى، ويعد قصر خليفة الزناتي بتونس شاهدا تاريخيا في المنطقة. لذلك نجده قد حظي بالنصيب الأوفر في الخطاب المدروس.</p>	مغلق	القصر	226	16	<p>«رجع دياب إلى قومه والزناتي إلى قصره، وقد ذل بعد العز».</p>
<p>لقد جاء توظيف هذا الحيز التاريخي في إطار التطرق لإبراز الطابع السياسي، الذي كانت تقوم عليها لبلاد العربية في ذلك الزمن.</p>	مغلق	الديوان	282	19	<p>«في ذات يوم بينما كانوا مجتمعين، الأمير حسن. والأمير أبوزيد في الديوان، ومن حولهم السادات والأبطال والفرسان».</p>

الفصل الثاني: ثنائية الزمن والمكان والأثر التاريخي (دراسة في تغريبة بني هلال)

نلاحظ تعددا متباينا ومكثفا للأمكنة التاريخية، وذلك من خلال استخدام تقنية الوصف في بعض المقاطع السردية، وتمثل كل من "نجد" و"المغرب" الفضاءان الأكثر بروزا من كلها، نظرا لأهميتها في رسم مسار "الهجرة الهلالية"؛ حيث تمثل "نجد" نقطة الانطلاق والرحيل، أما "المغرب" فتمثل نقطة النهاية والإقامة والاستقرار، وقد تراوحت هذه الأمكنة في موقعها الجغرافي بين الشرق والغرب.

بعد دراستنا للبنية الزمانية والمكانية، واستخلاص الأثر التاريخي لكل منهما في هذا الفصل نلاحظ أن التوظيف الفني للتاريخ، جاء عن طريق استخدام تقنيات الزمن السردية، إن كنا في دراستنا هذه قد اقتصرنا على البعض منها، وطريقة انتقالها على حساب زمن القصة، نظرا لأهميتها في الخطاب الحكائي بعامة، وقد استهلت "التغريبة" باستباق يمثل افتتاحية لهذا المجال النصي من جهة، ويبرز النتيجة التي آلت إليها الأحداث في النهاية، والمتمثل في غزوة بني هلال للمغرب واستقرارهم فيه. فإلى جانب الاستباقات نجد الاسترجاعات، للعودة إلى الأسباب التي انبثقت عنها هاته النتيجة.

كما نلاحظ أهمية كبيرة للمكان في "المدونة"؛ حيث برز من خلال الإعتقاد على عرض مجمل من الأمكنة التاريخية، في والغرب العربي، وإن لم تطل كثيرا في تصويرها يقدر وصف المعارك التي دارت فيها. وقد كانت هذه الأماكن تارة مغلقة، وتارة مفتوحة حسب طبيعة المعركة.

خاتمة

إن خاتمة هذا البحث هي آخر محطة نقف عندها، في هذه الرحلة المعرفية، حاملة معها الأسطر الأخيرة لتكون حصيلة شاملة ومختصرة لأهم النقاط التي سمحت لنا هذه الدراسة التوصل إليها، وكذلك بعد قراءة المدونة وكيفية تعلقها بالتاريخ نجملها في النقاط الآتية:

- التاريخ يصبح فنا متى ما اتصل بالخطاب الأدبي الذي يمثل جوهر الإبداع الفني، فهو يحتاج لأن يعيش حالة من الحيوية والاستمرار ليضمن بقاءه، ووجوده في العالم الإنساني الذي يتسم بالنسبية والتغير.

- يحتفظ الأدب الشعبي بحيز مهم من الخطاب التاريخي، وهذا يتجسد أكثر في السير الشعبية التي تمثل أهم مصادره .

- تغريبة بني هلال هي نافذة حية على الهجرة الهلالية التاريخية، التي تمثلت في انتقال المجتمع الهلالي من الوطن الأم "نجد"، إلى مقر الاستقرار "المغرب"؛ أي من مشرق العرب إلى مغربه خلال القرن الخامس للهجرة .

- إن البحث في نص بهذا العمق، وبهذه الكثافة لا يسمح لنا بحصره في إطار التاريخ، أو بضمه إلى قسم الفولكلور؛ وإنما يستوجب النظر إليه من زاوية أكثر اتساعا، تسمح لنا بمد جسور التواصل بين الأدب الشعبي العربي الأصيل وبين مناهج الدراسات الحديثة.

- وظف نص "التغريبة" كثيرا من الشخصيات التاريخية، التي جعلتنا نقرب أكثر من جوهر اللحظة التاريخية في صورة الحياة الحقيقية التي عاشها الناس في تلك الحقبة من الزمن، لا سيما فيما يتعلق بالواقع العربي؛ حيث كانت بمثابة صورة مصغرة عن الحياة البدوية العربية الأصيلة .

- الأبطال في السيرة الهلالية فحول من الفرسان؛ أي أن المقومات الرئيسية لهذه السيرة هي الفروسية، وتسجل كتب التاريخ أنها نمط من أنماط الحياة ونظام قائم برأسه من نظام المجتمع.

- لقد سمح لنا تطبيق المنهج السيميائي، في تحليل الشخصية الحكائية عند "فيليب هامون" بالاطلاع على جوانب مهمة من الثقافة العربية الإسلامية .

- استطاعت تقنيات المفارقة السردية المطبقة في هذا النص. (الاسترجاع بنوعيه، والاستباق بنوعيه)، أن تطلعنا على بعض الأحداث التاريخية المهمة من تاريخ العالم العربي لا سيما المغربي منه .

- حاول الاستباق الخارجي إبراز الواقع المعيش للأمة العربية الإسلامية، في فترة من الفترات، من خلال قراءة رؤية القارئ العربي للغلاف الخارجي لنص التغريبة الذي جاء مطابقا مع مضمونه النصي.

- إن رصدنا للمكان التاريخي المتواجد بالمدونة بنوعيه (المغلق والمفتوح)، سمح لنا بتسليط الضوء على بؤر الصراع العسكري التي لعبت دورا مهما في الهجرة الهلالية .

كانت هذه أهم النتائج التي خلص إليها البحث، وأخيرا نتمنى أن نكون قد وفقنا في إعطاء هذه الدراسة حقها، واستطعنا أن نقدم ما يمكن أن يستفيد منه غيرنا، فهذا ما ننشده ونبغيه، وإن كان غير ذلك، فحسبنا أننا اجتهدنا وحاولنا أن نصب، وإن لم نصب فلنا أجر الإجتهد، ونحمد الله ونشكره على عونه وتوفيقه لنا.

قائمة المصادر

والمراجع

* القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

أولاً: المصادر:

• ابن الأثير:

1- الكامل في التاريخ، تح: عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ج1(تاريخ الرسل والأنبياء)، (د ط)، 2012.

• الأصفهاني:

2- الأغاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ج15، ط1، 1994.

• جمانة كعكي:

3- تغريبة بني هلال، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2003.

• ابن حزم الأندلسي:

4- جمهرة أنساب العرب، تح: إيفي بروقسال، دار المعارف، القاهرة، مصر، (د ط)، 1948.

• حاتم الطائي:

5- الديوان، شرح: أبي صالح يحيى بن مدرك الطائي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1994.

• ابن خلدون:

7- تاريخ ابن خلدون (ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر)، تح: خليل شحادة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ج1، (د ط)، 2001.

8- التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ج1، ط1، 1979.

9- مقدمة ابن خلدون، تح: عبد الله محمد الدرويش، دار يعرب، دمشق، سوريا، ج1، ط1، 2004.

• الزوزني:

10- شرح المعلقات العشر، منشورات دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1987.

• الطبري:

11- تاريخ الطبري، دار المعارف، مصر، ج1 (تاريخ الرسل والملوك)، ط2، (د ت).

• ابن كثير:

12- البداية والنهاية، تح: حسان عبد المنان، بيت الأفكار الدولية، بيروت، لبنان، ج1، ط4، 2004.

13- الفصول في السيرة الرسول ﷺ، مؤسسة علوم القرآن، دمشق، سوريا، ط3، 1983.

14- قصص الأنبياء، تح: عبد الواحد مصطفى، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة، السعودية، ط3، 1988.

• المقرئزي:

15- إغاثة الأمة بكشف الغمة، تح: كرم حلمي فرحات، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية، الهرم، مصر، ط1، 2007.

المراجع العربية:

• أحمد حمد النعيمي:

16- إيقاع الزمن في الرواية العربية المعاصرة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، عمان، الأردن، ط1، 2004.

• أحمد عز الدين عبد الله خلف الله:

17- يوسف بن يعقوب عليهما السلام، مطبعة السعادة، القاهرة، مصر، ط1، 1978.

- أحمد مختار عمر:
18- اللغة واللون، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط2، 1997.
- أحمد مرشد:
19- البنية والدلالة في روايات "إبراهيم نصر الله"، دار الفارس للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2005.
- أمينة فزاري:
20- سيميائية الشخصية الحكائية في تغريبة بني هلال، دار الكتاب الحديث، القاهرة، مصر، ط1، 2011.
- أنيس وكمال بكداش:
21- كتاب عنتر بن شداد، المطبعة الأدبية، بيروت، لبنان، ج 1، (د ط)، 1908.
- إبراهيم السامرائي:
22- من سعة الأدب (وقفات في الأدب والتاريخ)، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2014.
- بشرى عبد الله:
23- جمالية الزمن في الرواية (دراسة متخصصة في جمالية الزمن في الرواية الإماراتية)، دار الهدهد، دبي، الإمارات العربية المتحدة، ط2، 2015.
- تأليف جماعي:
24- قسم الدراسات والبحوث في جمعية التجديد الثقافية والاجتماعية، الأسطورة توثيق حضاري، دار كيوان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط1، 2007.
- جورج صدقة وآخرون:
25- التحريض الديني وخطاب الكراهية، دار ممارات، بيروت، لبنان، (د ط)، 2015.

• جورج غريب:

26- الشعر الملحمي (تاريخه وأعلامه: ابن كلثوم- ابن حلزة- ابن شداد)، دار الكتاب، بيروت، لبنان، بيروت، لبنان، (د ت).

• حبيب الشادوني:

27- فلسفة فرنسيس بيكون، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1981.

• حسن بحراوي:

28- بنية الشكل الروائي (الفضاء، الزمن، الشخصية)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1990.

• حسن حسيني عبد الوهاب:

29- خلاصة تاريخ تونس (مختصر مدرسي يشمل ذكر حوادث القطر التونسي من أقدم العصور إلى الزمان الحاضر)، دار الكتب العربية الشرقية، تونس، ط3، (د ت).

• حسن سالم هندي اسماعيل:

30- الرواية التاريخية في الأدب العربي الحديث (دراسة في البنية السرية)، دار الحامد للنشر، عمان، الأردن، ط1، 2014.

• حسن نجمي:

31- شعرية الفضاء السردى والمتخيل والهوية في الرواية العربية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2000.

• حمّادي السّاحلي:

32- الدولة الصنهاجية (تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن 10 إلى القرن 12م)، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ج1، ط1، 1992.

• حميد الحميداني:

33- بنية النص السردي (من منظور النقد الأدبي)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط 3، 2000.

• حنا الفاخوري:

34- تاريخ الأدب العربي (الأدب القديم)، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط 1، 1986.

• ركان الصفدي:

35- الفن القصصي في النثر العربي (في مطلع القرن الخامس الهجري، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، سوريا، (د ط)، 2011.

• ساميا بابا:

36- مكون السيرة الذاتية (في رواية "حكاية شرح يطول" "لحنان الشيخ")، دار غيداء للنشر والتوزيع، ط 1، عمان الأردن، 2012.

• سعيد يقطين:

37- السرد العربي (مفاهيم وتجليات)، منشورات الإختلاف، الجزائر، ط 1، 2012.

38- تحليل الخطاب الروائي (الزمن، السرد، التبيين)، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط 3، 1997.

39- قال الراوي (البنيات الحكائية في السيرة الشعبية)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط 1، 1997.

• سند بن مطلق السبيعي:

40- الخيل معقود في نواصيها الخيل، مكتبة العنيكان، الرياض، السعودية، ط 1، 2004.

• سيزا أحمد قاسم:

41- بناء الرواية (دراسة مقارنة في "ثلاثية نجيب محفوظ")، مهرجان القراءة للجميع، عمان، الأردن، (د ط)، 2004.

• الشريف حبيلة:

42- بنية النص الروائي (دراسة في روايات "نجيب الكيلاني")، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2010.

• صفي الدين المباركفوري:

43- الرحيق المختوم (بحث في السيرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام)، وزارة الشؤون الإسلامية، قطر، (د ط)، 2007.

• صلاح بان:

44- البناء، الفواعل السردية في الرواية، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2008.

• الطاهر أحمد مكي:

45- الأدب المقارن أصوله وتطوره ومناهجه، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط1، 1987.

• طه وادي:

46- الرواية السياسية، الشركة المصرية للنشر - لونجمان -، القاهرة، مصر، (د ط)، (دت).

• عبد الحكيم شوقي:

47- السير والملاحم الشعبية العربية، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، (دط)، 2012.

• عبد الحميد بوسماحة:

48- رحلة بني هلال إلى الغرب وخصائصها التاريخية والاجتماعية والاقتصادية، دار السبيل للنشر والتوزيع، بن عكنون، الجزائر، ج1، (د ط)، 2008.

• عبد الحميد سعد زغلول:

49- تاريخ المغرب العربي (الفاطميون وبنو زييري الصنهاجيون إلى قيام المرابطين)، منشأة المعارف بالاسكندرية، القاهرة، مصر، ج3، (د ط)، 1990.

• عبد الخالق نادر أحمد:

50- الشخصية الروائية بين أحمد باكثير ونجيب الكيلاني (دراسة موضوعية وفنية)، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، كفر الشيخ، مصر، ط1، 2009.

• عبد الرحمان بدوي:

51- موسوعة الفلسفة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1984.

• عبد الرحمن بشير:

52- من تاريخ تونس الإسلامية إفريقية الإسلامية (دراسات اجتماعية واقتصادية)، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الجيزة، مصر، ط1، 2013.

• عبد الرحمن بن محمد الجيلاني:

53- تاريخ الجزائر العام، دار مكتبة الحياة، الجزائر، ج1، ط1، 1965.

• عبد الرزاق الكيلاني:

54- الشيخ عبد القادر الجيلاني (الإمام الزاهد القدوة)، دار القلم، دمشق، سوريا، ط1، 1994.

• عبد العزيز سالم:

55- تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر (د ط)، 1990.

• عبد العزيز شرف:

56- أدب السيرة الذاتية، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونغمان، مصر، (د ط)، 1992.

• عبد الله العروي:

57- مفهوم التاريخ (الألفاظ والمذاهب، والمفاهيم والأصول)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط4، 2005.

• عبد المالك مرتاض:

58- تحليل الخطاب السردي (معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية "زقاق المدق")، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، (د ط)، 1995.

59- في نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد)، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، (د ط)، 1998.

• عبد النور جبور:

60- المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط2، 1984.

• عبد الوهاب بن منصور:

61- قبائل المغرب، المطبعة الملكية، الرباط، المغرب، ج1، (د ط)، 1968.

• عصام الدين عبد الرؤوف الفقي:

62- تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، مصر، (د ط)، 1990.

• عمر رضا كحالة:

63- الحب، مؤسسة الرسالة، دمشق، سوريا، ط1، 1978.

• عمر عاشور، وابن الزيبان:

64- البنية السردية عند "الطيب صالح" (البنية الزمانية والمكانية في "موسم الهجرة إلى الشمال")، دار هومة، الجزائر، (د ط)، 2010.

• عبد الغني الدقر:

65- مالك بن أنس إمام دار الهجرة، دار القلم، دمشق الشام، سوريا، ط3، 1998.

• فاتح عبد السلام:

66- تريف السرد (خطاب الشخصية الريفية في الأدب)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2001.

• فارس مشير:

67- الإمام جعفر بن أبي طالب وآله رضي الله عنهم، مكتبة الكويت الدولية، الكويت، الإمارات العربية المتحدة، ط1، 2011.

• فاروق خورشيد:

68- أدب السيرة الشعبية، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، (د ط)، 2002.

69- الرواية العربية (عصر التجميع)، دار الشروق، بيروت، لبنان، ط3، 1982.

70- عالم الأدب الشعبي العجيب، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط1، 1991.

71- فن كتابة السيرة الشعبية (دراسة فنية نقدية للسيرة الشعبية: عنتر بن شداد)، منشورات إقرأ، بيروت، لبنان، ط2، 1982.

• فاطمة حسين المصري:

72- الشخصية المصرية (من خلال: دراسة بعض مظاهر الفلكلور المصري)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، (د ط)، 1984.

• فضيلة عبد الرحيم حسين:

73- فكرة الأسطورة وكتابة التاريخ، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، (د ط)، 2009.

• فؤاد المرعي:

74- المدخل إلى الآداب الأوروبية، مديرية الكتب والمطبوعات، دمشق، سوريا، ط2، 1992.

• فؤاد طوبال:

75- تاريخ الحضارات والأساطير (لمحات من تاريخ المشرق العربي القديم والحضارة العربية القديمة والحديث)، منشورات جامعة دمشق، كلية الفنون الجميلة، دمشق، سوريا، (د ط)، 2007.

- فوزية لعيوس، وغازي الجابري:
76- التحليل النبوي للرواية العربية، دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط3،
2011.
- قدور عبد الله ثاني:
77- سيميائية الصورة (مغامرة سيميائية في أشهر الإرساليات البصرية في العالم)، دار
الغرب للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر، (د ط)، 2005.
- قيس ناصر واهي:
78- نهاية التاريخ (دراسة تحليلية للمفهوم وحضوره المعاصر)، المركز الإسلامي للدراسات
الإستراتيجية، بغداد، العراق، ط1، 2017.
- محمد السعيد مولوي:
79- ديوان عنتر بن شداد، المكتب الإسلامي، دمشق، سوريا، ط1، 1964.
- محمد الهادي الشريف:
80- تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الإستقلال، دار سراس للنشر، تونس،
ط2، 1993.
- محمد بوعزة:
81- تحليل النص السردي (تقنيات ومفاهيم)، منشورات الإختلاف، الجزائر، ط1، 2010.
- محمد حمود مجد:
82- الألوان ودورها، تصنيفها، مصادرها، رمزيتها، ودلالاتها، المؤسسة الجامعية للدراسات
والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2013.
- محمد صابر عبيد:
83- التشكيل السيرذاتي (في التجربة والكتابة)، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق،
سوريا، (د ط)، 2012.

82- السيرة الذاتية الشعرية (قراءة في التجربة السيرية لشعراء الحداثة العربية)، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2007.

• محمد عبد الغني حسن:

83- التراجم والسير، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط3، 1980.

• محمد علي أبو العباس:

84- يوسف عليه السلام بين مكر الإخوة وكيد النسوة، مكتبة الساعي، الرياض، السعودية، (دط)، 1987.

• محمد فكري الجزار:

85- العنوان وسيميوطيقا الإتصال الأدبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، (د ط)، 1998.

• محمود السيد:

86- تاريخ دولة المغرب العربي (ليبيا- تونس- الجزائر- المغرب- موريطانيا)، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر، (د ط)، 2010.

• مها حسين قسراوي:

87- الزمن في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2004.

• نضال الشمالي:

88- الرواية والمكان (بحث في مستويات الخطاب في الرواية التاريخية العربية)، عالم الكتب الحديث، عمان، الأردن، ط1، 2006.

• ياسين النصير:

89- الرواية والمكان، دار الحرية للثقافة، بغداد، العراق، (د ط)، 1986.

- يحيى إبراهيم عبد الدايم:
90- الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان،
(د ط)، 1975.
- ثالثا: المراجع المترجمة:
• أرسطو طاليس:
91- فن الشعر، تر: إبراهيم حمادة، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، (د ط)، (د ت).
- جون إهر نبرغ:
92- المجتمع المدني (التاريخ النقدي للفكرة)، تر: علي حاكم صالح وحسن ناظم، المنظمة
العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1، 2008.
- جيرار جنيت وآخرون:
93- الفضاء الروائي، تر: عبد الرحيم حزل، أفريقيا الشرق، بيروت، لبنان، (د ط)، 2002.
- جيرار جنيت:
94- خطاب الحكاية (بحث في المنهج)، تر: محمد معتصم وآخرون، الهيئة العامة للمطابع
الأميرية، القاهرة، مصر، ط2، 1997.
- جيرالند برنس:
95- قاموس السرديات، تر: عابد خزندار، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، ط1،
2003.
- غاستون باشلار:
96- جماليات المكان، تر: غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع،
بيروت، لبنان، ط2، 1984.
- فرانزو روزنثال:
97- الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ، تر: صالح أحمد العلي، مؤسسة الرسالة،
بيروت، لبنان، ط1، 1986.

• فيليب هامون:

98- سيميولوجية الشخصيات الروائية، تر: سعيد بنكراد، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سوريا، ط1، 2013.

• ميشال بوتور:

99- بحوث في الرواية الجديدة، تر: فريد أنطوس، منشورات عديدة، بيروت، لبنان، ط3، 1986.

• هيجل جورج فلهم فريديريك:

100- العقل في التاريخ (من محاضرات في فلسفة التاريخ)، تر: إمام عبد الفتاح إمام، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط3، 2007.

• رابعا: المعاجم:

• إبراهيم مصطفى وآخرون:

101- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، القاهرة، مصر، ج1، ط3، 1989.

• ابن منظور:

102- لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ج1، ج3، ج4، ج7، ج11، ج13، (د ط)، (دت).

• أبي الحسين أحمد بن فارس:

103- مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ج3، (د ط)، 1979.

• جميل صليبا:

104- المعجم الفلسفي (بالألفاظ العربية، والفرنسية، والإنجليزية، اللاتينية)، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ج1، (د ط)، 1982.

• عمر رضا كحالة:

105- معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، المكتبة الهاشمية، دمشق، سوريا، ج3، (دط)، 1949.

• الفيروز آبادي:

106- القاموس المحيط، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، مصر، ج1، (د ط)، (د ت).

• لطيف زيتوني:

107- معجم مصطلحات نقد الرواية، عربي، انجليزي، فرنسي، دار النهار للنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2002.

• مجدي وهبة وكامل المهندس:

108- معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، ط2، 1984.

• محمد القاضي وآخرون:

109- معجم السرديات، دار محمد علي للنشر، تونس، ط1، 2010.

• خامسا: المذكرات:

• أحمد عبد الله محمد حمدان:

110- دلالات الألوان في شعر"نزار قباني"، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية، إشراف: يحيى صبر خليل عودة، جامعة نابلس، فلسطين، 2008.

• انتصار مهدي عبد الله:

111- القيم الأخلاقية في الشعر العربي الجاهلي، بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها، إشراف: نور الدايم يوسف، جامعة الخرطوم، السودان، 2008.

• ربيعة بدري:

112- البنية السردية في رواية "خطوات في الإتجاه الآخر" لحنفاوي زاغز، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الآداب واللغة العربية، إشراف: رحيمة شيتير، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2015.

• سعاد طويل:

113- البنية السردية في روايات "محمد ساري" (الورم نموذجاً)، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الأدب العربي، إشراف: صالح مفقودة، جامعة بسكرة، الجزائر، 2007. (مخطوط)

• سليم بن ساعد السلمي:

114- الصورة الفنية في شعر الخنساء، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، إشراف: عبد الرؤوف خليل، جامعة مؤتة، عمان، الأردن، 2009.

• صديقة معمر:

115- شعرية الألوان في النص الشعري الجزائري المعاصر (فترة 1988-2008)، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الأدب الجزائري الحديث والمعاصر، إشراف: يحيى الشيخ صالح، جامعة قسنطينة، الجزائر، 2010.

• عبد الحسيب محمد مالكي:

116- عتبة العنوان في الرواية الفلسطينية (دراسة في النص الموازي)، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الأدب العربي، إشراف: عادل الأسطة، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2003.

• علي عبد العزيز علي أبو سنيينة:

117- الغراب في الشعر الجاهلي، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، إشراف: إحسان الديك، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2012.

• مهاجي فايزة:

117- فعاليات العتبات النصية ودلالاتها (قراءة في الخطاب الروائي الجزائري رواية "الورم" (نموذجاً)، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في النقد الأدبي الحديث والمعاصر، إشراف: عفاف قادة، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر، 2015.

• وجدان يعقوب محمد:

118- الزمان والمكان في روايات "تجيب الكيلاني"، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، إشراف: جبير حمادي صالح، جامعة العراق، 2011.

• سادسا: المجلات والدوريات:

• الأخضر ميدني ابن حويلي:

119- الفيض الفني في سيميائية الألوان عند "نزار قباني"، مجلة جامعة دمشق، سوريا، ع 3، 4، مج 21، 2005.

• آسيا جريوي:

120- سيميائية الشخصية الحكائية في رواية "الذئب الأسود" لـ"حنا مينا"، مجلة المخبر، كلية الآداب واللغات، جامعة بسكرة، ع 6، 2010.

• إيمان عبد دخيل وعدنان حسين العوادي:

121- الزمكان في روايات "جبرا إبراهيم جبرا"، مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية، ع 4، مج 16، 2010.

• باية سيفون:

122- محاضرات في السيميولوجيا للسنة الثالثة ليسانس، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية (قسم علوم الإعلام والاتصال)، جامعة المسيلة، الجزائر، 2016.

• جميلة قيسمون:

123- الشخصية في القصة، مجلة العلوم الإنسانية، قسم الأدب العربي، جامعة قسنطينة، الجزائر، ع 6، 2006.

- رابح الأطرش:
124- مفهوم الزمن في الفكر والأدب، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة سطيف، الجزائر، ع9، مارس، 2006.
- عبد الرحمان أحمد حفظ:
125- الإمام مالك بن أنس الأصبحي(حياته ودوره العلمي)، مجلة جامعة ناصر الدين، اليمن، ع3، يونيو 2014.
- عبد الرحمان حمدان:
126- بناء الشخصية الرئيسة في رواية "عمر يظهر في القدس" للروائي نجيب الكيلاني، بحث مقدم للمؤتمر الخامس لكلية الآداب (القدس تاريخا وثقافة)، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين، ماي 2011.
- فاروق خورشيد:
127- السير الشعبية العربية، مجلة عالم الفكر، مج19، ع2، الكويت، الإمارات العربية المتحدة، 1970.
- كلثوم مدقن:
128- دلالة المكان في رواية "موسم الهجرة إلى الشمال" لـ "الطيب صالح"، مجلة الأثر، جامعة ورقلة، الجزائر، ع4، ماي 2005.
- لالا بيرموفاف:
129- فن السيرة في الأدب العربي ، مجلة كلية الآداب، ع101، باكو، أذربيجان، 2012.
- مرضية آباد ورسول بلاوي:
130- دلالات الألوان في شعر"يحيى السماوي"، مجلة إضاءات نقدية (فصلية محكمة)، إيران، ع8، 2012.
- نصيرة زوزو:
131- الفضاء النصي في رواية "كتاب الأمير" للأعرج واسيني، مجلة المخبر(أبحاث في اللغة والأدب الجزائري)، جامعة بسكرة، الجزائر، ع6، 2010.

فهرس

الموضوعات

الصفحة	الموضوع
(أ-ب-ج)	مقدمة
(29-4)	مدخل: التاريخ والسيرة الهلالية (بحث في المفاهيم)
5	أولاً: التاريخ بين المفهوم اللغوي والاصطلاحي
5	1- المفهوم اللغوي
6	2- المفهوم الاصطلاحي
11	ثانياً: علاقة التاريخ بالأدب
14	ثالثاً: فن السيرة
15	1- فن السيرة المفهوم اللغوي والاصطلاحي
15	1-1- المفهوم اللغوي
16	1-2- المفهوم الاصطلاحي
16	1-3- إشكالية المصطلح
17	2- أنواع السيرة
21	3- خصائص السيرة الشعبية
24	رابعاً: لمحة تاريخية لسيرة بني هلال (التغريبية)
24	1 - الأصل التاريخي لبني هلال

26	2 - أسباب هجرة بني هلال إلى المغرب
27	3- النتائج المترتبة عن هجرة بني هلال إلى المغرب
(30-64)	الفصل الأول: الشخصية الحكائية وأثرها التاريخي(دراسة في تغريبة بني هلال)
31	أولاً: الشخصية الحكائية التاريخية بين المفهوم اللغوي والاصطلاحي
31	1- المفهوم اللغوي
31	2- المفهوم الاصطلاحي
40	ثانياً: تصنيفات الشخصيات الحكائية عند "فيليب هامون"
40	2- فئات الشخصيات الحكائية ذات المرجعية التاريخية
42	1-1- شخصيات ذات مرجعية دينية
51	1-2- شخصيات ذات مرجعية اجتماعية
52	1-3- شخصيات ذات مرجعية ثقافية
56	1-4- شخصيات ذات مرجعية سياسية
59	2 - شخصيات ذات مرجعية فكرية
60	3- شخصيات ذات مرجعية أسطورية
61	4- شخصيات ذات مرجعية مجازية

-66) (104	الفصل الثاني: ثنائية الزمن والمكان والأثر التاريخي(دراسة في تغريبة بني هلال)
67	أولاً: تجليات الزمن وأثره التاريخي
67	1- الزمن بين المفهوم اللغوي والاصطلاحي
67	1-1 - المفهوم اللغوي
68	1-2- المفهوم الاصطلاحي
68	2- أنواع الزمن
69	1-2 الزمن الخارجي والأثر التاريخي
70	2-1-1- زمن الكتابة
70	2-1-2 - زمن القراءة
71	1-2- 3- الزمن التاريخي
75	2-2- الزمن الداخلي والأثر التاريخي
77	2-2-1- الاسترجاع
80	2-2-2 - الاستباق
81	2-2-2-1- الاستباق الداخلي
85	2-2-2-2- الاستباق الخارجي

96	ثانيا: تجليات الأمكنة وأثرها التاريخي
96	1- المكان بين المفهوم اللغوي والاصطلاحي
96	1-1 - المفهوم اللغوي
97	1-2 - المفهوم الاصطلاحي
99	1-3 - المكان التاريخي
100	2- الأماكن بين المفتوحة والمغلقة وأثرها التاريخي
105	خاتمة
108	قائمة المصادر والمراجع
127	الفهرس

ملخص:

تهدف هذه الدراسة الموسومة بعنوان: "التوظيف الفني التاريخي في تغريبة بني هلال" إلى الفصل بين العمل الخيالي الذي ينضوي تحت لواء التراث الشعبي، وبين العمل التاريخي، كما يسعى إلى جعل نص التغريبة نصا سرديا بامتياز، من خلال دراسة مدى استعابه وقدرة تفاعله مع آليات المناهج الحديثة، وتم تقسيم البحث إلى:

مدخل: عنوان بـ: «التاريخ والسيرة الهلالية (بحث في المفاهيم) ضم مفاهيم عامة تمحورت حول: مفهوم التاريخ، والسيرة وأنواعها، بما فيها السيرة التي كانت موضوع دراستنا، من خلال إحتوائها لنص تغريبة بني هلال، كما حاولنا وضع لمحة تاريخية عامة عن "السيرة الهلالية".

أما الفصل الأول ف جاء بعنوان: « الشخصية الحكائية وأثرها التاريخي (دراسة في تغريبة بني هلال)»، وكان عبارة عن مقاربات بنيوية سيميائية من خلال رصدنا للشخصيات الحكائية التاريخية.

أما الفصل الثاني ورد بعنوان: « ثنائية الزمن والمكان وأثرها التاريخي (دراسة في تغريبة بني هلال)»، تطرقنا فيه إلى بعض التقنيات الزمنية والأمكنة في إطار تاريخي.

وفي النهاية ختمنا بحثنا هذا بخاتمة كانت عبارة عن خلاصة ذكرنا فيها أهم النتائج المتوصل إليها.

Résumé

Cette étude, intitulée "Emploi artistique historique" dans son occidentalisation, Beni Hilal, a pour objectif de séparer l'œuvre fictive qui fait partie du patrimoine folklorique et populaire, de l'œuvre historique, comme il vise de faire du texte de la soustraction un texte narratif par excellence, en examinant sa compréhension et son aptitude à interagir avec les mécanismes modernes des programmes d'études.

Pour bien traiter le sujet de notre travail de recherche, nous avons proposé :

- Une introduction intitulée : l'histoire et à la biographie (recherche conceptuelle) d'Anon. L'introduction de concepts généraux centrés sur le concept d'histoire et de biographie, y compris la biographie qui a fait l'objet de notre étude, contient un texte similaire à Hilal, dans le but de développer un aperçu historique général de « la biographie de Beni Hilal. »

-Le premier chapitre s'intitule "Le caractère de l'architecture et sa signification historique" (étude réalisée à Benghazi Hilal). Il s'agissait d'une approche structurale sémiotique fondée sur l'observation de personnages historiques.

- Le deuxième chapitre s'intitule "Le facteur spacieux-temporel et son impact historique" (une étude sur son occidentalisation, Bani Hilal), dans lequel nous avons discuté de techniques temporelles et spatiales dans un cadre historiques.

Enfin, nous avons terminé notre humble travail de recherche en le concluant par un résumé dans lequel nous avons mentionné les résultats les plus importants et pertinents.